ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٣/ السنة التاسعة
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات/ قسم الشؤون الفكرية
والثقافية/ العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٣ / السنة العاشرة / ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

حفل تخرج الدورات القرآنية التخصصية ٤
استضافة طلبة الدورات القرآنية في جامعة المصطفى العالمية ٨
ومَن قُتِل مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّه سُلْطاناً ١٢
إضاءات في سورة الهمزة ١٦
السنن الإلهية في القرآن ٢٤
ولو انتهوا لكان خيراً لهم ٣٦

المشرف العام
م. جلال علي محمد
رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي
سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي
السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي
التدقيق اللغوي
عامر عزيز الأنباري
محرر الأخبار
حسين علي السعدي
التصميم والإخراج الفني
زيد عبد الأمير موسى

كلمة العدد

فَعِّل معادلة القرآن

إنّ القرآن حريص على أن يترك لنا حرية الاختيار ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُورا﴾، ويكفل لنا هذا الحقّ بأن وفّر لنا أدوات الاختيار من فطرة سليمة ورجاحة عقل وإدراك ونظر ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، ولِساناً وشَفَتَيْنِ﴾. وسبل هداية ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾، فإنّ كلّ شيء في هذه الحياة متروك لإرادتنا، فنحن من نحدّد مصيرنا. وظاهر الأمر هذا يجعلنا تحت ضغط الاختيار، لا سيما أننا لا نعلم ما يمكن أن تؤول إليه الأمور في قادم الأيام، فطبيعة النفس ونوازعها ورغباتها، وما في رحم الغيب الذي لا يمكن التكهن أو التنبؤ به يصعب الأمر علينا، لأننا نكون بين خيارين لا ثالث لهما؛ إما التمسك بأصالة ما جاء به القرآن من تعاليم وإرشادات دينية وأخلاقية ونبذ كلّ ما تمليه علينا أهواؤنا ورغباتنا الدنيوية، أو أن ننساق وراء حطام الدنيا وزخرفها الكاذب تاركين القرآن وما جاء به وراء ظهورنا، وهو ما يجعل حياتنا متأرجحة غير مستقرة، فنحسب أن طلب الدنيا والسعي فيها يتقاطع تماماً مع ما جاء به القرآن وأنه على الطرف النقيض منه، ومن تمسك بالقرآن فهو زاهد في هذه الدنيا غير راغب فيها؛ وهذه هي المغبّة التي وقع فيها الكثير منا، لأننا لم نفهم طبيعة المعادلة التي وضعها لنا القرآن ﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾.

لقد وضع لنا القرآن معادلة موزونة، وضمن لنا بتوسط الأمر حفظ حظّنا من هذه الدنيا وابتغاء ما عند الله في دار الآخرة، فالقرآن منحنا حظّي الدنيا والآخرة ولم يحجب أحدهما عنا بقبولنا الآخر، كما صوّره لنا فهمنا القاصر، فهو يريد لنا أن نحيا حياتنا الدنيا في رَفَهِ العيش وسعة في الرزق ولا يكره لنا ذلك، إذ لم يأمرنا بحرمان النفس من زينة الله والطيبات من الرزق ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، بل كره لنا التطرف في الزهد والتنسك والتبتل والإعراض عن الدنيا، وأكثر من ذلك أمرنا بالسعي وطلب الدنيا بالحلال، فإن كان المنع من السعي في طلبها مرغوباً ومحبباً إلى الله فعلام استخلفنا في هذه الأرض، ومن يعمرها ما دمنا قد عفونا الحياة وزهدنا فيها، وكأنّ المشروع الإلهي في استخلاف الإنسان هو مشروع عبث لا ضرورة فيه (حاشا لله).

فعش حياتك وفعِّل معادلة القرآن، فليس من الحكمة في شيء أن يهبنا الله الحياة ورفاهية العيش في هذه الدنيا ثم يحرمنا منها بداعي الاختبار كما ذهب جمهور المتصوفة المتشدقون المتفيقهون. إن الله يختبرنا فيما يحلّ ويحرم منها، فنأخذ ما أحلّ الله ونعتزل ما حرم لا أن نعتزلها بالكليّة، فبها ومن خلالها تتحقق معرفة الله والتزام طاعته، ومن سعادة المرء طول عمره في هذه الحياة الدنيا في طاعة الله وجني نصيبه وافياً منها، فهي منزل من منازل الهدى. ومن هنا نفهم كره الأنبياء والأولياء الموت وطلبهم من الله طول العمر؛ لأنه كلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر، فيصير حفظها والتمسك بها مقصوداً مهماً تابعاً للدين غير متناف عنه.

سكرتير التحرير

حفل تخرج الدورات القرآنية التخصصية في رحاب الصحـــــــــــ

برعاية مباركة من خادم الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة الدكتور حيدر حسن الشمري شهدت رحاب الصحن الكاظمي الشريف حفل تخرج الدورات القرآنية التخصصية، بحضور نخبة من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني، وطلبة الدورات القرآنية وجمع من الزائرين الكرام.

استهل الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم شنّف بها أسماع الحاضرين قارئ العتبة المقدسة الخادم قاسم الزاملي، بعدها ألقيت كلمة الأمانة العتبة للكاظمية المقدسة، ألقاها نائب أمينها العام المهندس سعد محمد حسن، بيّن فيها قائلاً: (بكل عبارات الودّ وكلمات الترحيب نلتقيكم اليوم على مائدة القرآن الكريم للاحتفاء بتخرج دوراتنا القرآنية في رحاب الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، مع الدعاء لكم بمزيد من التشرف بخدمة كتاب الله العزيز.

ومن منطلق مسؤوليتنا تجاه كتاب الله العزيز، كرّست الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة جهودها لتوفير مناخات مناسبة لتعليم القرآن الكريم وتوسيع نشاطاته، والحرص على نشر الثقافة القرآنية بين شرائح المجتمع رجالاً ونساءً وفتياناً وفتياتٍ، من خلال مركز القرآن الكريم واستقطاب الأساتذة الأكفاء، وفتح الدورات القرآنية لتشمل جميع الفئات العمرية، وهو من أولوياتنا كونه: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وأضاف قائلاً:(غايتنا هي الرجوع إلى الله تعالى رجوعاً تتجسدُ فيه تعاليمُ الشريعة المقدسة، في زمن استفحل فيه الغزو الثقافي ليستهدف أبناءنا وبناتنا، فلا يمكننا أنْ نحافظ على مجتمعنا إلا من خلال التمسك بكتاب

ـــــــن الكاظمي الشريف

الله تعالى يقابله التمسك بالعترة الهادية.. وهذه مسؤولية تكاملية تقع على الجميع ولا بدّ أن تتعاضد الجهود لتحصين أبنائنا وبناتنا) .

بعدها ألقيت كلمة مركز القرآن الكريم، ألقاها مديره الخادم عمار الموسوي، حيث رحب في مستهلها بالحضور والمشاركين في الدورات القرآنية، وأضاف قائلاً: (على بركة الله تعالى والأئمة الأطهار عليهم السلام نجتمع اليوم لنُعلن عن تخرج الدفعة الثالثة من دوراتنا القرآنية التخصصية التي حرصت على إقامتها وتطويرها واستمرارها الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال ملاكات مركز القرآن الكريم وأساتذته المتخصصين، إذ بلغ عدد المستفيدين من تلك الدورات (١٦٠) طالباً من البنين والبنات، والحمد لله استطعنا أن نضع بصمتنا القرآنية في مئات البيوت، والارتقاء في مجال دوراتنا المستديمة والتي تتضمن القراءة التحقيقية والإجازات، والقراءة الصحيحة لمفردات و القرآن الكريم وكلماته والتفسير، وعلوم القرآن الكريم، والنغم بطريقة الترتيل والتجويد إلى جانب قواعد التلاوة).

بعدها شهد الحفل تلاوة بالطريقة العراقية عطر بها أجواء الصحن الكاظمي الشريف أحد ثمار هذه الدورات القارئ حيدر شاكر، وتخلل الحفل مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين، إذ جادت حناجرهم بقصيدة عنوانها: (مفتاح النجاة)، وعرض فلم وثائقي عن نشاطات مركز القرآن الكريم من إنتاج قناة الجوادين التابعة لشعبة الإعلام. واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على أساتذة الدورات وطلبتها من بركات الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

مركـــز القـــرآن الكريـــم ينظّـــم ســـوقاً خيريـــاً

تزامناً مع أسبوع الولاية، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾، وبمباركة الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة خادم الإمامين الكاظمين الجوادين الدكتور حيدر حسن الشمري، نظّم مركز القرآن الكريم في العتبة المقدسة سوقاً خيرياً يعود ريعه كاملاً لبرنامج «جود الجوادين» الإنساني لإعانة العوائل المتعففة الذي تقيمه العتبة الكاظمية المقدسة.

وافتتح السوق الخيري نائب الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة المهندس سعد محمد حسن، بمشاركة نخبة من الخدم العاملين في مركز القرآن الكريم، ومجموعة من المشاركين الوافدين من الحافظات.

كما شهدت فعاليات السوق عرض مجموعة متنوعة من الملابس والمفروشات والأدوات المنزلية والأعمال اليدوية، حيث جمعت هذه خطوة بين جمالية الشعور الإنساني، وحُب العمل وترسيخ مفهوم التكافل الاجتماعي ومساعدة الناس تجسيداً لوصايا أهل البيت عليهم السلام، وعملاً بتوجيهات المرجعية الدينية العُليا متمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله.

مركز القرآن الكريم يقيم نشاطاً قرآنياً في جامعة بغداد

بتوجيه من قبل الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة خادم الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام الدكتور حيدر حسن الشمّري، وبغية تفعيل روابط التواصل القرآني مع المؤسسات العلمية والثقافية، والإسهام في نشر الثقافة القرآنية من خلال التعاون والتواصل مع النشاطات الجامعية، أقام مركز القرآن الكريم وحدة التبليغ القرآني النسوي في العتبة الكاظمية المقدسة، وبالتعاون مع كلية التربية البدنية والعلوم الرياضية للبنات في جامعة بغداد، محفلاً قرآنياً بحضور كوكبة من معلمات المركز وطالباته.

وشهد المحفل قراءة باقة من التلاوات القرآنية المباركة، ليَعلو صداها، ويُنثر شذاها في الحرم الجامعي. واختتم المحفل القرآني بكلمات الشكر والامتنان من رئيس جامعة بغداد الأستاذ الدكتور منير السعدي لخَدَمَة الثقلين في الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، ومركز القرآن الكريم في العتبة المقدسة الذين حملوا عطر القرآن الكريم وعطر الإمامين الكاظمين عليهما السلام.

وتجدر الإشارة أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تواصل تحقيق أهدافها وبرامجها التنموية، وتسعى من خلال التواصل مع الجامعات العراقية والمؤسسات البحثية والأكاديمية لإيصال رسالتها الإنسانية، ومواكبة حركتها العلمية والنهوض الفكري الذي تشهده.

الاحتفاء بتخرج الدفعة الرابعة من الدورات القرآنية التخصصية

أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة / مركز القرآن الكريم حفل تخرج الدفعة الرابعة من دورة الأداء التطويري للنغم والمقامات بالطريقة العراقية، ودورة القراءة الصحيحة للرجال بحضور نخبة من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني، وطلبة الدورات القرآنية.

استهل الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم شنّف بها أسماع الحاضرين كلّ من: الطالب مرتضى جعفر، والطالب أمجد سعدون، بعدها ألقيت كلمة مركز القرآن الكريم وألقاها القارئ الخادم فراس سعيد الطائي، رحب في مستهلها بالحضور الكريم، وأضاف قائلاً: حرصت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال ملاكات مركز القرآن الكريم على إقامة هذه الدورات واستضافتها للأساتذة والمتخصصين، إذ بلغ عدد الطلبة المشاركين بالدورتين (٤٣) طالباً، وأثمرت بتخرج عدد من الطلبة المتميزين الذين شاركوا في سلسلة المحافل القرآنية الأسبوعية للعتبة الكاظمية المقدسة سعياً منهم للوصول إلى هذه المستويات والنتائج الجيدة. فقد كانت مشاركتهم فرصة لتعلّم مرتكزات القراءة الصحيحة، واستخدام أساليب القراءة الجماعية، والقراءة التفكيكية والمقطعية. نشكر الله تعالى على هذا التوفيق لخدمة كتاب الله العزيز، والإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام حين أفاضا علينا الكرم والجود والعطاء، والشكر موصول إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة متمثلة بأمينها العام الدكتور حيدر حسن الشمّري وأعضاء مجلس إدارته الموقّر في النهوض بأعباء المسؤولية، ودعمهم للمسيرة القرآنية المباركة، ورعايتهم لتلك النخبة الواعدة.

واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على أساتذة الدورات وطلبتها من بركات الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

انطلاق دورة الجوادين القرآنية الصيفية الثانية عشر

برعاية مباركة من الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة، خادم الإمامين الكاظمين الجوادين الدكتور حيدر حسن الشمّري، نظّم مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية الصيفية الثانية عشر للبنين والبنات.

وشَهد منهاج الدورة الصيفية التي أن تستمر مدة ثلاثة أشهر، دروساً مكثفة في حفظ القرآن الكريم، وتعليم تلاوته وأحكامه، ودروساً في سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام والتعريف بمراقدهم المقدسة، ودروساً في العقائد والأخلاق والفقه المُبسط، وتعليم الصلاة، والوضوء وأصول الدين وفروعه، فضلاً عن تنمية بعض المواهب الصوتية والاهتمام بالإنشاد الديني.

وتأتي إقامة هذه الدورات سعياً لتحصين أبنائنا وبناتنا الطلبة وتنشئتهم على المبادئ الإسلامية من خلال تجذير ثقافة القرآن الكريم، وعلوم أهل البيت عليهم السلام، وزرع القيم الأخلاقية الفاضلة في نفوسهم.

كما جرى تخصيص مواعيد محددة لمحاضرات الدورة وهي أيام السبت، والاثنين، والأربعاء (للذكور)، والأحد، والثلاثاء، والخميس (للإناث) فقط، فضلاً عن المنهاج المقرر وفق الفئات العمرية، وتوافر وسائل نقل مجانية لنقل الطلبة من العتبة الكاظمية المقدسة إلى المركز وبالعكس، وبإشراف نُخبة من الأساتذة المتميزين، والمعلمات المميزات في المجال القرآني.

استضافة طلبة الدورات القرآنية في جامعة المصطفى العالمية

استضاف مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، وفداً ضمّ أساتذة الدورات القرآنية في جامعة المصطفى العالمية وعدداً من طلبتها، حيث جرى إعداد برنامج خاص بهم، اشتمل على إقامة محفل قرآني في رحاب الصحن الكاظمي الشريف، كما استمع الوفد الطلابي خلال برنامج الاستضافة إلى شرحٍ موجزٍ من إدارة المركز عن النشاطات القرآنية التي تقيمها الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وتواصلها مع الحركة القرآنية في العراق لنشر رسالتها الإنسانية السامية، وحرصها الدائم على دعم المشاريع القرآنية، وتنمية المواهب الجديدة، وتشجيعها لكلّ شرائح المجتمع على الاهتمام بكتاب الله عزّ وجل. وشهد البرنامج جولة ميدانية في الصحن الكاظمي الشريف اطلع خلالها على معالم العتبة التاريخية وما تشهده العتبة المقدسة في المجال الثقافي والخدمي.

وفي ختام الزيارة تقدّم مسؤولو الوفد الزائر بالشكر والتقدير إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وخدّام مركز القرآن الكريم على حُسن الضيافة والاستقبال متمنين لهم دوام التوفيق والسداد في خدمة الثقلين.

إقامة حفل تخرج المَجمع العلمي للقرآن الكريم في رحاب الصحن الكاظمي الشريف

من بقعة الطهر المُفعمة بالقداسة والإيمان، وفي رحاب الإمامين الهمامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام استضافت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وبالتعاون مع الأمانة العامة للعتبة العباسية المقدسة / المَجمع العلمي للقرآن الكريم ـ معهد القرآن الكريم فرع بغداد، حفل اختتام دورات أحكام التلاوة والتجويد، والدورات التحقيقية، ودورات علوم القرآن الكريم التي شارك فيها (٥٥٠) طالباً، وبحضور نخبة من ممثلي المؤسسات والروابط القرآنية والمهتمين بالشأن القرآني.

وشهد الحفل إلقاء كلمات عدّة أشادت بجهود المنظمين لهذه الدورات وإعدادهم لأصوات جديدة وقرّاء مجيدين يخدمون الساحة القرآنية، كما أكدت ضرورة إقامة هذه الفعاليات وتفعيل الروابط القرآنية وفتح آفاق التعاون والتواصل وكلّ ما من شأنه أن يخدم المسيرة القرآنية.

واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا التذكارية على أساتذة الدورات وطلبتها الذين صُقلتْ مواهبهم ليتسنى لهم المشاركة وبكلّ ثقة في المحافل والمسابقات المحلية والدولية إن شاء الله تعالى.

الصحن الكاظمي الطاهر يشهد
وقفة استنكارية كبيرة لجريمة حـ

تجسيداً لقول النبي الأكرم ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً)، وتنديداً بالإساءات والانتهاكات المتكررة للمصحف الشريف التي جرت في بعض الدول الغربية، نظّمت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وبالتعاون مع المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم التابع لديوان الوقف الشيعي، وقفة استنكارية كبيرة ضد تلك الأفعال المشينة نصرةً للقرآن الكريم وبيان قدسيته، والوقوف بوجه التصرفات المتطرفة وكلّ من يحاول النيل من الدين الحنيف والإساءة لمقدسات المسلمين.

وشارك في تلك الوقفة نائب الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة المهندس سعد محمد حسن وجمع من خدّام العتبة الكاظمية المقدسة، ووفود من المؤسسات والروابط الدينية في بغداد وجمع من مشايخ وأساتذة القرآن الكريم وطلبة الدورات القرآنية.

وأكد المشاركون في هذه الوقفة المباركة أنهم على ثقة تامة ويقين قاطع بأن الله سينتصر لكتابه العزيز ويحفظه من كلّ حاقد ومجرم، وأنهم على يقين ثابت بأن عقوبة الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة محيطة بأعداء الله الكافرين، الذين يسعون للنيل من كتابه ودينه.

كما تُليت خلال هذه الوقفة الاستنكارية المطالب التي أقرّها مؤتمر أساتذة وقرّاء القرآن الكريم باللغتين العربية والإنكليزية، والتي نصت على:

١- تقديم الشكر والتقدير والعرفان إلى المرجعية الدينية العُليا متمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني «دام ظله الوارف» لمخاطبة الأمم المتحدة والمطالبة بالاحتجاج وعدم التطاول على المقدسات.

٢- تأييد الإجراءات الحكومية بغلق السفارة السويدية، وسحب القائم بالأعمال في السفارة العراقية بالسويد.

٣- مطالبة الجهات والمراكز القرآنية والقرآنيين في العالم بوقفة استنكارية والضغط على حكوماتهم بإجراءات رادعة لإيقاف مثل هكذا تصرفات.

٤- مطالبة المحاكم الدولية بسن قانون دولي يُجرِّم المسيئين للكتب السماوية عامة والقرآن الكريم خاصة.

ـــرق المصحف الشريف

٥- دعوة الجاليات المسلمة في دولة السويد بتفعيل العمل القرآني بشكل عام، بما في ذلك علوم القرآن الكريم والتفسير والإكثار من الجلسات والمحافل القرآنية في الساحات العامة بعد استحصال الموافقات الرسمية من السلطات السويدية.

٦- دعوة كلا الوقفين، والعتبات المقدسة إلى دعم الحركة القرآنية في السويد والدنمارك، فضلاً عن الدول الغربية الأخرى وفتح فروع في هذه الدول وتكون تابعة للمراكز القرآنية في العتبات المقدسة، وتسليط الضوء على التحفيظ والإقراء بما يخدم الجاليات المسلمة.

في الوقت ذاته تدعو الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة إلى إدامة روابط المنظومة القيمية والاجتماعية والثقافية والدينية التي يرتبط بها العالم الإنساني، ونشر رسالة المحبة والتآخي والسلام التي رفع شعارها نبينا الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام)، والوقوف بوجه مشاريع التفرقة، وإفشال جميع المخططات التي يريدها أعداء الإنسانية، ونشر أفكار الوئام والإيمان بالتقارب، ونبذ الطائفية والعنصرية بجميع صورها وأشكالها.

مركز القرآن الكريم
يجري اختبارات مسابقة حفظ زيارة عاشوراء

استناداً إلى توجيهات الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة، خادم الإمامين الكاظمين الجوادين الدكتور حيدر حسن الشمّري، وتشرّفاً بحديث إمامنا جعفر الصادق (عليه السلام) في فضل زيارة عاشوراء وما لها من أهمية حين قال: (يا صفوان كلما كانت لك حاجة عند الله توجه إليه تبارك وتعالى بقراءة هذه الزيارة والدعاء بعدها في أي مكان كنت، واطلب حاجتك فإن الله لا يخلف وعده)، وترسيخاً للمفاهيم التربوية والأخلاقية الكريمة في نفوس أبنائنا وفتياتنا، أجرى مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة اختبارات لأكثر من (٣٠٠) متسابق من البنين والبنات ممن شاركوا في مسابقة حفظ زيارة عاشوراء المباركة.

وقد جرت تلك الاختبارات وفق لوائح تحكيم مخصصة لتوزيع الدرجات بطريقة منصفة، وتألفت اللجنة التحكيمية التي اجرت الاختبارات من: القارئ السيد عبد الكريم قاسم، والقارئ فراس الطائي، والأستاذة إسراء حسين، والحافظة بتول جبار.

ومن الجدير بالذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تسعى من خلال إقامتها لهذه الفعاليات المباركة إلى تعزيز وترسيخ القيم والمبادئ العظيمة التي ضحى من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) بين افراد مجتمعنا الكريم، وثباتهم على نهج العقيدة الإسلامية الحقة، والتزود من معين الأسوة الحسنة المتمثلة بالنبي الأكرم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

ومن المؤمل أن يكون هنالك تكريم للفائزين بعد إعلان النتائج في وقت لاحق إن شاء الله تعالى، حيث خصصت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة للفائزين جوائز وهدايا قيّمة من بركات الإمامين الكاظمين (عليهما السلام)، تشجيعاً لهم وتثميناً لمثابرتهم في الحفظ.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾

منذ أن بلغت أحلامنا حدّ إدراك ما جرى في الطفّ في العاشر من محرم الحرام، ونحن أمام إلحاح المشككين، وهم يبثون في المحافل والمجالس، أليس هناك تنافي ما بين المنطق وقبول فكرة وجود رابطة صميمية ما بين النهضة الحسينية ونهضة مهديهم المزعوم، رغم البعد الزمني الفاصل ما بين النهضتين، هذا إن سلمنا جدلاً بوجوده.

ثم لماذا يستعمل شعار (يا لثارات الحسين) في استنهاض العالم وتأليب الضمير الإنساني على الظلم والجور؟ وما الاعتبارات التي جعلتموها حقاً خاصاً له يطالب من خلالها بالثأر لجده الإمام الحسين؟ ثم ألم يكن الثأر موروثاً اجتماعياً متخلفاً تتعاطاه المجتمعات المتخلفة، التي لا يحكمها القانون وسلطة القانون؟ والمفروض أنّه يخرج لينشئ دولة عالمية متحضرة، وحياة جديدة قائمة على أساس من الإيمان والمبادئ والقيم الإنسانية السامية، ويعمل على استرداد القوانين والأحكام الأصيلة المستمدة من روح الشريعة، القاضية بإتمام العدالة والمساواة وبسط الرخاء والأمن والسلام بين الشعوب. ثم ممن يثأر، والقتلة كما نعرف إما قتلوا في وقتها أو ماتوا، ولم يتبق منهم أحد؟ أيعقل أن يقتص من أحفادهم وذراريهم! والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، ولو فرضنا وجود باقي متعلقات تلك الجريمة في أيامنا هذه، ألم يكن من الأجدر والأولى أن يصفح ويتنازل عن حقّه، وهو الإمام الذي تزعمون أنّه يتحلى بروح التسامح والإحساس الاجتماعي والثقة بنية الآخر.

وبالتأكيد إنّ لهذه الاشكالات رداً منطقياً يمكننا أن نوجزه بخلاصة مركزة مغنية عن السرد الطويل والإطناب في ذكر الأدلّة، إذا تسنى لنا أن نقف على حقيقة النهضتين ومتابعتهما عن قرب، وتحقق لنا رؤية أواصر الترابط المشتركة، ووجوه التشابه والاتفاق والانطباق التام الحاصل بينهما. فإن كان ذلك. وهو كذلك. فإنّ النهضتين من دون شك موجودتان على خط مسير التكامل الرسالي لا يفصلهما فاصل رغم البعد الزمني بينهما. فأصل كلّ نهضة منهما تحمل في جوهرها المادة نفسها، وهي النزعة الجامحة للخروج من أجل الإصلاح العالمي واستنقاذ العالم من الظلم والجور؛ وهذا بيّن ظاهر في قول الإمام الحسين عليه السلام (إني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنّما خَرَجتُ لطَلَب الإصلاح في أُمَّةِ جدّي مُحمَّد صلى الله عليه وآله، أُريدُ ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)[2]، وبيّن أيضاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله المبارك في أمر خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولأجل الهدف نفسه وهو استنقاذ العالم من براثن الظلم والجور (وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الدُّنيا إلّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ حَتَّى يَخْرُجُ قَائِمُنا فَيَمْلأ الارْضَ قِسْطاً وَ عَدْلًا كَما مُلِئَت ظُلْماً وَ جَوْرا). أضف إلى ذلك أنّ كلا النهضتين لهما دور تكاملي، فمثلما أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي مكملة وامتداد لنهضة رسول الله صلى الله عليه وآله والتي منحت الحسين شرف الاتحاد العقائدي والروحي والنفسي مع رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين)، فإنّ نهضة الإمام المهدي عليه السلام هي مكملة وامتداد لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وكلاهما لعب وسوف يلعب دوراً عظيماً في حفظ الإسلام وبقاؤه، فبنهضة الإمام الحسين عليه السلام حُفِظ الإسلام من الضياع والانحراف، وبنهضة المهدي وقيامه يظهر الإسلام على كلِّ الأديان ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[3]، فقد جاء في تفسير سعيد بن جبير قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[4]، إنّه المهدي عجل الله فرجه.

١- سورة فاطر، الآية ١٨.
٢- المناقب، (٢/٢٠٨).
٣- سورة الفتح، الآية ٢٨.
٤- سورة الفتح، الآية ٢٨.

وكلا النهضتين تدوران في مدار واحد وحول محور واحد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حالهما حال كلّ نهضات الأنبياء والمرسلين التي مهمتها العظمى، بعد ترسيخ التوحيد في المعمورة، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٥].

ثم إنّ كلا النهضتين منصوص عليها ومتعينة من جهة السماء، ومقدّر لكل منهما دور في حركة الحياة، فقُدِر للأولى أن يكون بطلها الفاتح والشهيد الأكبر (وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، فكأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملّأن منّى أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين)، (مَنْ لَحِقَ بيَ اسْتُشْهِدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنّي لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْح)، وقدّر للثانية أن يكون بطلها المنقذ والوارث الأعظم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾[٧] فأي ترابط أشدّ وثاقة وقوة من الترابط الحاصل ما بين النهضتين.

أما ما يخصّ الاعتبارات التي خصّت الإمام ﷺ بالمطالبة بالثأر لدم الحسين ﷺ دون غيره من سائر البشر، بعد هذه السنين المتطاولة، نقول هناك اعتبارات ثلاثة يمكن أن نعتبرها خاصة بالإمام ﷺ، وهناك اعتبار رابع هو اعتبار عام قد يفيدنا في هذا الغرض وفي رفع هذا التوهم؛ الأول: ولاية الأمر (ولي الدم)، فكما هو معروف أن حق المطالبة بالدم والمطالبة بالقصاص من الجناة موكول إلى أقرب الناس نسباً من المقتول، ﴿ومَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ﴾[٨]، والإمام الحجة ﷺ هو ابن الإمام الحسين ﷺ الصلبي، وهو أولى الناس بالمطالبة بدمه، والاعتبار الثاني هو ولاية الحاكم الشرعي، فالإمام الحجة ﷺ هو الحاكم الشرعي حين الظهور، والقاعدة الشرعية تقول الحاكم الشرعي هو وليّ دم من لا ولي له؛ وبهذا يكون أيضاً هو ولي دم الإمام الحسين ﷺ. والاعتبار الثالث هو أكثرها حجية من الاعتبارين السابقين، وهو أنّ الإمام يخرج لإحقاق الحق وترسيخ دعائم العدل ورفع الظلم والحيف عن الناس، ومن أصدق مصاديق أحقاق الحق وإقامة العدل الإلهي في الأرض، هو المطالبة بدم المقتول ظلماً وعدواناً بكربلاء.

أما الاعتبار الرابع العام، فهو أن المطالبة بدم الإمام الحسين ﷺ هو في حدّ ذاته مطلب وحق عام لجميع الناس؛ لأنّ الإمام الحسين ﷺ هو رمز إسلامي وعالمي وقيمة عليا لدى جميع المسلمين، بل والعالم أجمع، باعتبار أن شهادة الإمام الحسين ﷺ هي شهادة من أجل الإنسانية، وفيها اختزلت كلّ شهادات الأنبياء والمرسلين وكلّ الصالحين والمصلحين على مرّ العصور الذين مضوا قتلاً وتنكيلاً على أيدي جبابرة العالم وطغاته، والمطالبة بدمه هي في حقيقتها مطالبة بكلّ الدماء التي سكبت ظلماً عبر التاريخ، لتغدو مطلباً عاماً، ومن حق جميع الناس على اختلاف مشاربهم وطوائفهم وأديانهم وألوانهم المطالبة بدمه والقصاص من قتلته. يقول الإمام زين العابدين ﷺ عندما فاتحه عمّه محمد بن الحنفية حول تأييده للثورة، فقال ﷺ: (يا عم لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت).

أما ما ورد في إشكال ممن سيكون القصاص! والجناة الحقيقيون كلّهم قد ماتوا أو قتلوا، وإنّ في شرعة الإسلام أن يقتص الولي من الجناة الحقيقيين المباشرين، لا أن ينقل تبعات الجريمة إلى غيرهم ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾، والإشكال وارد ومنطقي إذ إن الإمام ﷺ لا يقتص من أشخاص بعينهم، بل يقتص من المنظومة العقائدية الفاسدة التي سمحت بقتل الإمام الحسين ﷺ، فكما هو معروف إنّ هذه المنظومة التي أدّت إلى هذه الجريمة البشعة، هي باقية مستمرة إلى خروجه ﷺ، فلا يدعي عاقل أنّ الإمام يقحم أشخاص هم أجانب عن الجريمة، ليشركهم في دم جدّه الإمام الحسين ﷺ ما لم يكن لهم شرك في دمه.

أما ما يتعلق بغمزتهم واتّهامهم بأنّ الإمام يخرج بلغة الدم لا لغة التسامح، والأجدر به أن يعفو ويصفح وهو المأمور بذلك، نقول إنّ هذه مغالطة كبيرة، وخلط لا يقع به إلا السذج من الناس، فليست إقامة الحدود على الجناة هو أمر مستهجن مرفوض أو هو ولوغ في الدم، بل هو في حد ذاته حياة للأمة وأمر مطلوب وملّح في حفظ النظام العام ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾[٩]، ثم إنّ المعترض لا يميز ما بين حق الله والحق الشخصي، معتقداً أنّ القصاص لدم الإمام الحسين ﷺ حق شخصي عقد لوليه (الإمام الحجة) فله أن يقتص وله أن يصفح؛ وهذا صحيح بالعنوان الأولي، لكن ارتباط الدم الحسيني وتعلقه بالذات الإلهية المقدسة، جعل له عنواناً ثانوياً نقله من الحق الشخصي إلى حق الله، بمعنى أنه لما كان هذا الدم قد أريق لوجه الله خالصاً دون غيره، فإنّ الله هو الذي يتولاه ويأخذ ثمنه عبر الإمام الحجة المنتظر، ومن هنا جاءت كلمة (الحسين ثأر الله)، وليس للإمام الحجة أن يتنازل عن حق الله ولا يمكنه ذلك؛ ثم إنّ الإمام الحسين ﷺ يمثل منظومة الخير المحضة، فلا بدّ أن تكون الجهة المقابلة هي منظومة الشرّ المحضة، والإمام الحجة ﷺ مأمور ومكلف باجتثاث الشّر المحض من الأرض، وهذه رسالته، ولا تسامح بإداء الرسالة وتأدية الواجب المقدس.

٥- سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
٦- سورة النور، الآية ٥٤.
٧- سورة القصص، الآية ٥.
٨- سورة الإسراء، الآية ٣٣.
٩- سورة البقرة، الآية ١٧٩.

القرآن قائدنا

إنّه القرآن المجيد، القائد الفريد، المنجي الرشيد، المخبر بالوعد والوعيد، والمبشر باليوم السعيد، المنذر بالعذاب الشديد، والمبين لكلّ جديد. كتاب الله الموحى، الى الصادق الأوفى، المختار المصطفى، الذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، عند الملك الأعلى.

يفهم كثير من الناس الأمثال والأقوال المؤثرة الصادرة من بعض الحكماء أو المتعلمين أو المثقفين، وآخرون يتغزلون بتلك الكلمات التي قد يكون لها حقيقة واقعية، فيتخذونها منهجاً ودرساً في حياتهم اليومية، ويزيد بعضهم بحفظها والتغني بها.

نحن -بصفتنا مسلمين-ينبغي لنا أن نقرأ القرآن بمعنى القراءة التي تعطينا مفاهيم ومصاديق لمفردات الحياة الدنيوية والأخروية. ومن المؤكد أن تمام الكمال لجميع الموجودات في اتباع القرآن الكريم. ومن المؤكد أيضاً أنّ الله تعالى هو الذي أنزل القرآن وحياً على نبيه وخاتم رسله محمد المصطفى ﷺ فيه جميع سبل الهداية والرشاد المؤدية إلى السمو والفضيلة. ولعلّ من يحاول التهجم والاستهزاء بآيات الكتاب العزيز فإنّ العقاب قادم لا محالة، وعقابه عقاب من استهزأ بالقرآن فيما مضى من القرون السابقة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (١).

فالقرآن هو النور الذي يجلي كلّ ظلمة، وهو البرهان الذي يرفع كلّ شكّ، وبوجوده بين ظهرانينا يفيض الله علينا النور والبصيرة والرحمة والعزم والقوة، فمن تمسّك بالقرآن لم يدخله شكّ ولا ريب، واستنار قلبه بنور الحقّ، فلا مكان بعد لكلّ رين وظلمة، فهو مأدبة الله التي أنزلها لخلقه كي يسيروا في رحلة الكمال الإنساني، كما قال رسول الله ﷺ: (القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم إنه النور المبين والشفاء النافع. تعلموه فإنّ الله يشرّفكم بتعلمه)(٢). هذا للمسلم الذي يتمسك بالثقل والحبل المتصل بالسماء، أما من استغنى واستكبر فإنه غريب وبعيد كل البعد عن القرآن وعن مضامينه وكنوزه.

ولا بدّ لنا من معرفة أن التفاعل الروحي والنفسي الكامل مع الهداية والنور والمفاهيم القرآنية التي تثير العواطف والإحساس، تؤدي إلى تفاعل العقل والفكر مع المضمون المؤدي إلى انشراح الصدور وسعادة الأرواح في الآيات الإرشادية والمرغبة، وهي ترتعد وتخشى العقاب والآلام في آيات الوعيد.

أما الجاحد لهذه الآيات والسور فإنّه لا يشعر ولا يستشعر أهدافها ومبادئها؛ هو كالأنعام بل أضل سبيلاً. هذا مثل الجاحد الذي لا يفقه ما يصنع. أما الكلام عن الملحد فإنه لا يعرف من خلقه ومن وهبه القوى ومن سخر له كلّ شيء، فإنّه الجاهل المعاند الذي اتبع هواه وكان أمره فرطا. فكيف له أن يحسن التعامل مع آيات الله تعالى؟ وكيف له أن يحترم ويقدس الكتب المقدسة؟ ومن ثمّ فإنّه لا يعتقد بخالقه ولا يثمن قيمة الأنبياء والرسل (صلوات ربي عليهم أجمعين) ويجهل ما في جميع الكتب السماوية. وفي مثل هذه الحالة غاب عنه التقديس والاحترام فلا يهمه هتك أيّ كتاب مقدس.

اليوم نشهد حادثة تمزيق المصحف الشريف بيد فلان وفلان في هذه الدولة أو تلك مع توفير الحماية له ، فلا أرى من هذه الأفعال إلّا إثارة فتنة جديدة يصنعها أعداء الإسلام والمسلمين، وأجندة من أجندات الدول التي تزعم التقدم لتهديم ما يهدد كياناتها المستقبلية، فإنّ دولة الإسلام قادمة لتحكم العالم بأسره، وإنّ غداً لناظره قريب.

أما الشخص الذي انتهك حرمة المصحف الشريف وقام بتمزيقه وحرقه، فإن عقابه آت ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (٣). أما القرآن -مضموناً-فهو محفوظ في صدور المؤمنين وإن الله تعالى حافظه من كل زيغ وتحريف وتشتيت. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤).

١- سورة الحجر: آية ٩٥.
٢- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي: ١/ ٢٨٧.
٣- سورة الشعراء: الاية ٢٢٧.
٤- سورة الحجر: الاية ٩.

الجزء الأول

دراسة تحليلية للآية الكريمة

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

باعتماد نهج جديد وفق متطلبات عصرنا الراهن

د. سيد فاروق عزيز
باحث، قسم علم الدين المقارن
الجامعة الإسلامية الدولية- إسلام آباد

د. محمد إنعام الحق
باحث، قسم الحديث وعلومه
الجامعة الإسلامية الدولية- إسلام آباد

محمد نعيم
محاضر، قسم الدراسات الإسلامية
جامعة رفاه الدولية-إسلام آباد

ترجمة واختصار: رياض عبد الغني الحسن

ملخص البحث

الغرض من هذه الدراسة هو عرض مفهوم الجهاد بإضاءة جديدة ومنظور جديد يقوم على أساس متطلبات عصرنا الراهن. الإسلام دين حيّ. لقد جعل الله تعالى الإسلام آخر الأديان السماوية، فلم تعد هناك حاجة إلى وحي آخر أو نبوة أخرى. ولا يقبل الله تعالى ديناً غير الإسلام كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (**آل عمران/٨٥**).

وقد أعلن أيضاً أن الإسلام سيكون هو الدين السائد، لكننا للأسف نرى أن الإسلام مضطهد في عالمنا المعاصر.

والسبب الذي يكمن وراء ذلك هو أن المسلمين نسوا الجهاد. وأنا أرى هنا في هذا البحث أن الجهاد لا يقتصر على مجال (القتال) لوحده. فالمسلمون بحاجة إلى القيام بالجهاد في كل مجال من مجالات الحياة وبكل مسلك فيها.

فمن حيث أن الإسلام دين حيّ، نجد أن الحاجة اليوم تدعونا إلى أن يكون للمسلمين باع في كل مجال من مجالات الحياة. وهناك أنماط مختلفة من الحروب تجري في عالمنا الحديث، مثل الحرب التعليمية والحرب العلمية والحرب السياسية والحرب الاقتصادية؛ إلا أننا لا نجد للعالم المسلم في السيناريو الراهن إلا إسهاماً ضئيلاً جداً.

وعليه ففي ضوء الآية الشريفة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ يجب على مسلمي اليوم التفوق في كل مضمار في الحياة وحكم العالم بأكمله؛ ولا يتيسر ذلك إلا إذا أخذ العالم الإسلامي مكانه في مصاف دول العالم المتطورة والقوية علماً وتعليماً وسياسة واقتصاداً؛ وإلاّ فالمسلمون إلى تراجع.

الكلمات المفتاحية: الجهاد، التعليم، العلم، الدولة، الاقتصاد، دراسة تحليلية.

مقدمة

الإسلام هو دين الانقياد التام إلى الله الأحد. إذا تمسك مسلمو اليوم بالإسلام بقوة ولم يتخلوا عنه في مرحلة من المراحل، فستكون لهم القوة واليد العليا؛ إلا إننا نجد أن إسلام المسلمين اليوم يقتصر على أداء لبعض الأعمال والوظائف، ولكلّ فرد إسلامه الخاص به القائم على رغباته الشخصية وإرادته. لقد عزلوا الإسلام عن التعليم المعاصر والابتكارات العلمية وعن السياسة والاقتصاد. وأصبح الإسلام يحيا حياة الغرباء والضياع بسبب أداء المسلمين الضعيف. فلو أولى المسلمون اهتماماً كبيراً بإرثهم المكتوب كالقرآن والحديث لوجدوا بسهولة فيه ما يرشدهم.

على المسلمين اليوم دراسة القرآن الكريم في ضوء الوضع الراهن للعالم. كما إن من اللازم على المسلمين وضع أنظمة تربوية وسياسية وعلمية واقتصادية تتماشى مع المبادئ الأساسية للإسلام لتسود العالم.

فإذا ما فعل المسلمون ذلك وناضلوا في سبيله؛ فسيكونوا هم الجهاديين الحقيقيين وفقاً لما يريده القرآن الكريم؛ وبخلافه ستكون خسارتهم في الحياة كبيرة. إذ من الضروري اليوم الدخول في تنافس مع سائر أقطار العالم في جميع مجالات الحياة لتحقيق النصر للإسلام.

البحث اللغوي

الموضوع الذي اخترته يعدّ من حيث الأساس جزءاً من آية من سورة الأنفال. في هذا الصدد لم يكتب أحد من قبل موضوعاً منفصلاً يبحث الموضوع المذكور، لكنّ بعض المفسرين والمترجمين سلطوا الضوء على هذه الآية في سياق أهمية الجهاد. لقد قدم شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الآلوسي شرحاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ في تفسيره (روح المعاني) بأنّ من الواجب على المؤمن أن يعدّ نفسه لقتال غير المسلمين وبين أن معنى كلمة (قوة) هو رمي الأعداء في ساحة القتال.

وذكر محمد صديق خان القنوجي كلمة (قوة) بمعنى الأسلحة في تفسيره (نيل المرام في تفسير آيات الأحكام). أما أبو جعفر الطبري فقد ذكر أن كلمة (قوة) وردت بمعنى «ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل» في تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن).

في حين أن الإمام فخر الدين الرازي بيّن في تفسيره (مفاتيح الغيب) أن المقصود هو الإعداد للأعداء لغرض دعوتهم إلى الإيمان وإخافتهم حتى لا يؤذوا المسلمين. على أن بعض المفسرين والمترجمين المعاصرين قد ألقى ضوءاً أكبر على الجزء المذكور من الآية، فأعطى سيد جبريل الطنطاوي بياناً في تفسيره الوسيط يقول فيه: إن من المهم أن تهيئ الأمة الإسلامية ما أمكنها من كل ما يتقوى به أفرادها على الأعداء في الحرب. فيترتب عليهم أن يكونوا أصحاب قوة عسكرية منضبطة إلى جانب قدرتهم على تصنيع جميع الأسلحة المطلوبة في ذلك اليوم، وعليهم أن يطوروا جميع وسائل الجهاد الكفيلة بهزيمة الأعداء والحرص على أمن الأفراد في الأمة الإسلامية وسلامتهم. كما يرى أن الجهاد هو وسيلة للدفاع عن الإسلام لضمان الحرية الدينية وتطهير الأرض من الظلم والطغيان.

أما المفتي محمد شفيع فهو يتوسع في مفهوم الكلمة (قوة) بصيغة واضحة التعريف. فقد بيّن في تفسيره (معارف القرآن): أنها تعني اكتساب القوة للتنافس مع أعداء الإسلام، بما في ذلك جميع مستلزمات الجهاد.

فيسهب مبيناً: لما كانت وسائل القوة تختلف باختلاف المكان والزمان فقد عبر القرآن عن ذلك بصفة عامة بدلاً من أن يذكر مصطلحات محددة.

ففي اعتبارات الزمان والمكان، من الضروري للأمة الإسلامية أن تتعلم السلاح النووي وابتكاره وتحضيره. ولأنّ معنى الجهاد هو ضمان الأمن للإسلام والمسلمين، وأن ذلك يختلف باختلاف الحالات، فقد قال النبي الكريم ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»، فيبين هذا الحديث أن الجهاد قد يختلف وفقاً لاختلاف المواقف؛ فقد يأخذ شكل استخدام الأسلحة، وأحياناً الألسن، على أن القلم أيضاً يدخل ضمناً في جهاد اللسان. يعني الجهاد بصفة عامة محاربة غير المسلمين وأعداء الإسلام، وهو على أنواع مختلفة وفقاً لما يتطلبه واقع الحال.

ففي ضوء الآراء التي مرّت آنفاً، وخاصة رأي الطنطاوي والمفتي محمد شفيع، هناك حاجة في هذا اليوم إلى الجهاد ضمن سيناريو عصرنا الراهن هذا. إذا تأمل المسلمون هذه المرحلة، سيرون بوضوح مستلزمات الجهاد اليوم. وعليه فسأسهب في هذا البحث في ذكر الحاجات الأساسية للجهاد في عالمنا المعاصر.

منهجية البحث

لقد كتبت هذا البحث بأسلوب تحليلي مثمر استجابة لحاجة الجهاد الذي يدعو إليه الرأي المعاصر. واستعنت بعدة تفاسير وتراجم. واستفدت كذلك من كتابات بعض العلماء المعاصرين. وأعطيت تعاريف رأيتها ضرورية لبعض المصطلحات.

الجهاد في العالم المعاصر

أنا لا أتجاهل -ولن أتجاهل-الجهاد بمعنى (القتال في سبيل الله). فهو له أهميته، وهو بحدّ ذاته قيمة عليا. لكن اليوم الذي نعيشه يمثل عصر أنظمة التعليم القوية والاختراعات العلمية، والأنظمة السياسية، والأنظمة الاقتصادية التي تقود العالم. لقد توقفت الأمة الإسلامية دونما ابتكارات أو نظام يحكم العالم.

يرى هذا البحث أن الجهاد أمر حيوي في جميع مجالات التربية والعلوم والسياسة، وأنه نظام اقتصادي فائق التنظيم يسمح بحكم العالم ويقوي الدين الإسلامي وينعشه ليكون ديناً حيّاً تتقبله جميع أفراد الإنسانية. إن على الأمة الإسلامية أن تتّحد وتبذل وسعها في تخصصاتها من أجل خير الإسلام وليس من أجل دعم مراكزهم وتلبية رغباتهم فحسب. كل ذلك يمكن أن يكون متاحاً إذا قبل المسلمون بعضهم بعضاً على مختلف المستويات.

وعليه فإنّ هذا البحث يركّز فقط على الجهاد فيما يصبّ في خير الإسلام ويوقظ الأمة من أجل خير الإسلام. فيكون الجهاد في سبيل التعليم الأفضل، والجهاد في سبيل أفضل العلوم، والجهاد في سبيل دولة الإسلام الأفضل، والجهاد في سبيل النظام الاقتصادي الأفضل.

البحث طويل نكتفي بهذا المقدار والتكملة تكون في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

ظِلٌّ مِّن يَحْمُومٍ

زينب حسين

أي حياة؟ بل هي شقاء، وأي نعيم؟ إنه جحيم، وأيّ نعمة؟ بل هي نقمة، وأيّ سرور؟ إنه ثبور، وأيّ سعادة؟ إنها تعاسة، وأيّ راحة؟ إنها عناء، وأيّ رفعة؟ إنها ذلة، تلك التي تعيشها يا عزيز قلبي.

قلبي الذي بات يتفطر ألماً ووجعاً كلّما ترسل له عيني مشاهد مأساوية من معاناتك، فتفيض دموعي ألماً وحزناً على حالك، وأنا لا أستطيع فعل شيء أو تغييره، إنّ الذي تعيشه كل يوم ليس عدلاً بل هو الظلم بعينه. أخبرني كيف تطيق صبراً على مكابدتك لتلك الحياة المرهقة؟ فأخذ يكفكف دموعه وفتح ذراعيه ليضمّني إليه بعد أن فقدت أعصابي وأصبت بالانهيار وهو يقول لي: اهدئي يا بنيتي الحبيبة، لا تقولي هذا الكلام، لقد كبرتِ الآن وأصبحتِ فتاة ناضجة، وجاء الوقت المناسب لأخبركِ بحقيقة الأمر عسى أن تتفهميني وتعذريني.

ففي ذلك اليوم مررت بأوقات عصيبة ومواقف مرعبة، حينها كنت شاباً قوي البنية في الثلاثينات من عمري، وقد تكالب عليّ الجوع والعطش والحرّ الشديد الذي لا يطاق وكأن الشمس قد ركزت كلّ أشعتها نحوي في صحراء قاحلة لا نهاية لها، فلا سقف يظلّلني ولا ماء يرويني ولا أحد يسعفني، وقد انهارت قواي من كثرة الاستنجاد، وكدت أفقد وعيي وأنا أسير وحدي. لكنني رأيت من بعيد بستاناً كثيف الشجر تظلّله غمامة بيضاء، فتنفست الصعداء عندما برق لي الأمل واستجمعت قواي لأصل إلى ضالتي.

وصلت وتعثرت ووقعت، عندما تفاجئت برؤية جدكِ هناك، وهو مستظل بتلك الأشجار المتشابكة وقد تدلى منها الثمر الوفير، فصرخت أناديه حتى بح صوتي وتلاشى مع الهواء، لكنه لم يسمعني، وحاولت بكلّ جهدي أن أحبو إلى بستانه لكنني فشلت، وكأن جسدي قد تحجر وقدماي قد شلّتا ولا يمكنني تحريكهما. ولم يبق لي سوى البكاء فبكيت حسرة وألماً، وكادت روحي تزهق، حتى استعدت وعيي والعرق يبلل جسدي، وأنا مستلق على سرير، والظلام يطبق عليّ، والأربطة تلفّ جسمي وكأنني شرنقة، وأصوات الأجهزة الطبية تحوطني، وأدركت أنني في المستشفى، فصرخت: من الذي جاء بي إلى هنا؟

فهرعت إليّ أميّ وقالت لي بصوت مرهق: الحمد لله على سلامتك، فقلت لها: أين والدي؟ هل هو من أحضرني إلى هنا؟

فردت عليّ مستغربة ظناً منها بأنني قد فقدت الذاكرة: لا لقد نقلوك إلى المستشفى بالإسعاف بعد أن تعرّضت لحادث خطير، وكنت فاقداً للوعي منذ ثلاثة أيام، فالحمد لله على كل حال، فتذكرت حينها ذلك الحادث المروّع عندما كنت أقود سيارتي بسرعة وخرجت عن الطريق واصطدمت، وأدركت أن كلّ الذي مررت به هو كابوس مخيف، وقد رأيت والدي-رحمه الله- في منامي وليس في الحقيقة.

وتيقنت فيما بعد أنّه لم يكن مجرد حلم بالنسبة لي، بل هو تنبيه من الله عز وجل وتحذير من أفعالي، فلقد كنت تاركاً للصلاة لاهياً عنها بمشاغل الحياة، شغوفاً بجمع المال والأملاك، ممتنعاً عن الخمس والصدقات، مستنكراً على الذين يدفعونها من أموالهم ومن بينهم والدي الذي كان يجود من العدم إلى أن مات وهو لا يملك فلساً واحداً، وهذا ما جعلني ألهث وراء الأموال كي لا أموت فقيراً مثله، حتى أراني الله تعالى منزلتي في الآخرة حيث لا مال أنقذني، ولا أملاك نفعتني ولا أظلتني، بينما كان أبي متنعماً بأعماله الصالحة وصدقاته التي ضاعفها الله سبحانه له وأظلّه بها، كما وعد أمثاله في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1]، وما أروع وصف رسول الله ﷺ للمصّدّقين حين قال: (إنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته)[2].

وبعد ذلك الحادث الأليم، عقدت الأيمان على نفسي بأن أصحح مساري وأخطو على خطى والدي لكي استظل بظلّ ممدود مثله لا بظلّ من يحموم، وأنفق أموالي على الصدقات وأعوض ما تركته من صلاة وصيام حتى لو شقّ عليّ ذلك. وكنت فاقداً لكلتا قدميّ وعينيّ جالساً بقية عمري على هذا الكرسي المتحرك الذي أدين له بحياتي لأنه حرّك لي ضميري وأنار بصيرتي. فالحمد لله والشكر له على هذا الحال، وحاشاه تعالى أن يظلمني كما تقولين، بل أنا الذي ظلمت نفسي، قال عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

١- سورة الحديد، الآية: ١٨.
٢- ميزان الحكمة، الريشهري، (٥/٢٠٤).
٣- سورة النحل، الآية : ١١٨.

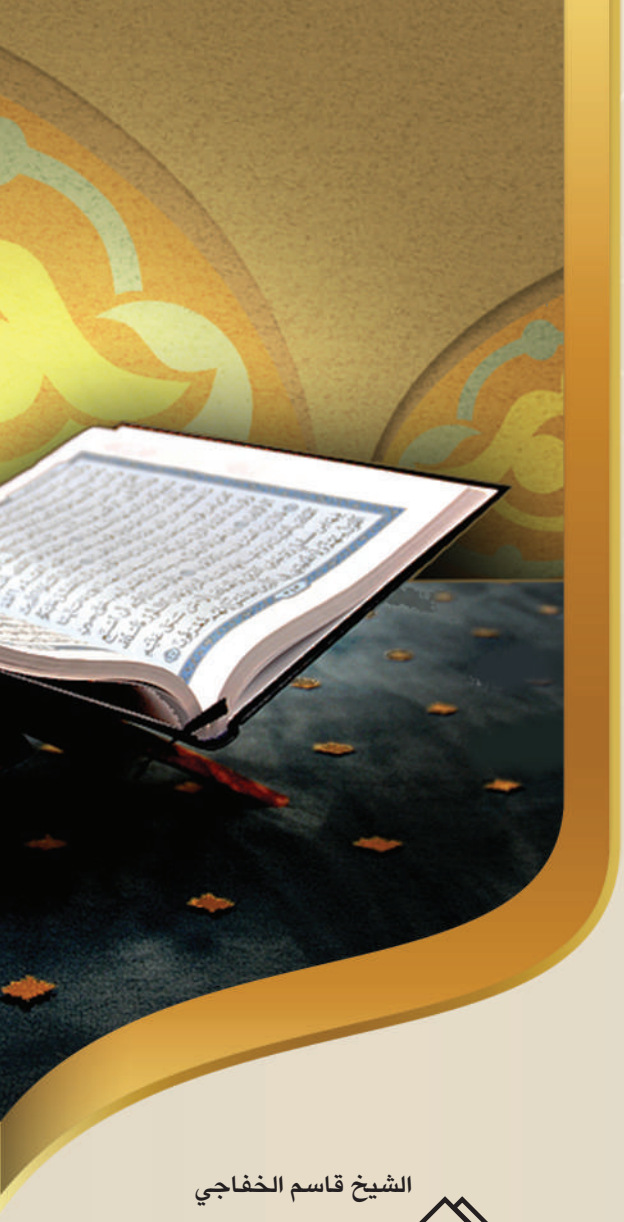

إضاءات في سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾

الشيخ قاسم الخفاجي

تسمية السورة:

اسمها الأشهر سورة الهمزة وتجده في كل التفاسير تقريباً[1]، وورد اسمها في تفسير البرهان عن الإمام الصادق عليه السلام بسورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[2]، وذكر الطاهر بن عاشور أن بعضاً ذكرها بنفس ما ورد في البرهان[3]، وقال الفيروز آبادي: سمّيت سورة الهمزة لمفتتحها، وسورة الحطمة؛ لذكرها فيها[4].

مكان النزول وعدد الآيات

هي من السور المكية بإجماع المسلمين ولم يخالف منهم أحد، وعدد آياتها تسع آيات وعدد حروفها مائة وثلاثون حرفاً[5].

ترتيب نزولها

وهي السورة الثانية والثلاثون من حيث نزولها، وقد نزلت بعد سورة القيامة[6] وقبل سورة المرسلات[7].

سبب النزول

اختلف فيمن نزلت عليه السورة، هل هو شخص واحد أم أكثر. فعن ابن عباس أنها نزلت في الأخنس ابن شريق، كان يهمز النّاس ويلمزهم مقبلين ومدبرين. وأما مقاتل فيقول: نزلت في الوليد بن المغيرة[8]. ومنهم من تردد فيمن نزلت أفي واحد أم جماعة فقال: ونزلت في الأخنس

١- ينظر التبيان في تفسير القرآن الشيخ الطوسي (٤٠٦/١٠) والبحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي، (٥٤١/١٠) وإرشاد الاذهان الى تفسير القرآن الشيخ محمد السبزواري النجفي ص ٦١٠.
٢- البرهان في تفسير القرآن السيد هاشم البحراني، (٧٥٥/٥).
٣- ينظر تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور (٤٧٠/٣٠).
٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥٤٣/١).
٥- التفسير الكبير الطبراني (٥٥٥/٦) والتبيان في تفسير القرآن الشيخ الطوسي (٤٠٦/١٠) والتفسير الصافي الفيض الكاشاني (٣٧٤/٥) وإرشاد الاذهان الى تفسير القرآن الشيخ محمد السبزواري النجفي ص ٦١٠ والتفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب، (٢٦٢/١٦).
٦- من هدى القرآن السيد محمد تقي المدرسي (٣٤١/١٢) وموسوعة القرآن العظيم عبد المنعم الحفني (٨١٩/١) والتفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (٢٦٢/١٦) وغيرهم.
٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم سيد محمد طنطاوي (٥٠٤/١٥)، تفسير التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور (٤٧٠/٣٠).
٨- التفسير الكبير الطبراني (٥٥٥/٦).

بن شريق، أو العاص بن وائل، أو جميل بن معمر، أو الوليد بن المغيرة، أو أمية بن خلف، أقوال. ويمكن أن تكون نزلت في الجميع، وهي مع ذلك عامة فيمن اتّصف بهذه الأوصاف[٩].

ومنهم من اختار سبب النزول في الوليد بن المغيرة على ما ذهب إليه جمع من المفسرين ولم يستبعد نزولها في الآخرين، فقال: قال: جمع من المفسرين إنّ آيات هذه السورة نزلت في الوليد بن المغيرة الذي كان يغتاب النبي ويطعن فيه ويستهزئ به. وقيل إنها نزلت في أفراد آخرين من رؤوس المشركين وأعداء الإسلام مثل الأخنس بن شريق وأمية بن خلف والعاص بن وائل. ولكن، إن قبلنا أسباب النزول هذه فلا ينفي ذلك شمولية مفاهيم الآيات، بل إنها تستوعب كلّ الذين يحملون هذه الصفات[١٠].

٩- البحر المحيط في التفسير أبي حيان الأندلسي (٥٤١/١٠).

١٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (٤٤٧/٢٠).

معاني الكلمات

(ويل): أي خسار وهلاك وعذاب.

(الهمزة) و(اللمزة) صيغتا مبالغة. الأولى من الهمز، وهي في الأصل الكسر. العائبون المغتابون يكسرون شخصية الآخرين، ولذلك أطلق عليهم اسم (الهمزة). و(اللمزة) من اللمز، وهو اغتياب الآخرين، وإلصاق العيوب بهم.

وهناك أقوال أخرى منها؛ الهمزة هو المغتاب، واللمزة: العائب. وآخر، الهمزة هم العائبون بإشارة اليد والرأس. واللمزة من يعيب بلسانه. قول ثالث، الأولى تعني العائب في العلن، والثانية للعائب في الخفاء، وبإشارة العين والحاجب. قول رابع، إن الاثنتين بمعنى الذي ينبز الناس بألقاب قبيحة مستهجنة. وقول آخر، أن معناهما واحد وذكرهما معا للتوكيد[١١].

(الحطمة): هي نار في جهنم إلا أن خصيصتها تحطيم كلّ شيء يلقى فيها.

مقاصد السورة وأهدافها

موضوعها أخلاقي ويشير إلى أمور مهمة:

❁ التهديد الشديد لمن يعيب الناس، ويتهكم بهم، ويتطاول عليهم، بسبب كثرة ماله، وجحوده للحق ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

❁ من الناس من يرى المسلك الأعلى والأفضل جمع المال إلا أن سالكه في خسران إن لم يعط الحقّ الذي عليه ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾.

❁ بقاؤك بالمال الذي تنفقه في وجوه الخير، ولن تبقى بمال تكنزه لنفسك؛ اجعل المال طريقا لمدحك وشكرك، لا طريق ذم ووبال.

❁ لا دور حقيقي في ادّخار المال وتجميعه والتكاثر فيه من حيث الاكتناز، بل دوره الواقعي في حركته في المجتمع ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ - الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾.

❁ لأطوار الوجود قوانين، وعالم الدنيا مقيد بهذه القوانين. فإذا لم يستطع المال إخلاد السابقين في الحياة فلن يستطيع بالمال شراء علم يخلده ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾.

١١- ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (٤٤٩/٢٠).

❁ هناك مماثلة بين العمل والجزاء؛ فلمّا كان الطغيان من القلب ثم انتشر في الأعضاء يكون ابتداء العذاب من القلب ثم ينتشر في الأعضاء ﴿نَارُ اللَّهِ .. تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾.

❁ المتكبر مستخفّ بالناس، ولتكبره يرمى في النار باستخفاف ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾.

❁ جزاء المشرك العيّاب السبّاب نار خالدة مغلقة ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾.

التفسير

جاءت هذه السورة المباركة لتشخص مرضاً عظيماً يأتي بعد الكفر والإشراك يمزق النسيج الاجتماعي، ويفتت اللحمة الإنسانية هو مرض التكبر بمظاهر ثلاث (الهمز واللمز والحب الشديد للمال واكتنازه).

يرى الإسلام أن السخرية والغيبة والطعن في الناس وانتقاصهم علل تهديم للمجتمع الإنساني ومن أكبر التحديات التي تواجهه، كانت وما زالت. وقد كان النبي ﷺ والمؤمنون يتعرضون لهذه الحالات لأنهم آمنوا أن منهجهم سيفتح طريق السعادة وينشر الخير في ربوع الأرض إلّا أن المشركين القاصر نظرهم على الأنا والبعد المادي كانوا يرون استحالة ذلك لاستبعادهم البعد الجماعي والروحي والقيمي في تحقيق النصر. كانوا سابقاً يرون أنفسهم ضعافاً أذلة صاغرين أمام الأكاسرة والقياصرة، ومثلهم اليوم من يرى ضعفه أمام الغرب بمسمياته المتكثرة، غافلين أن لو آمنوا بما عندهم لن تصمد الجبال أمامهم ومن أشدّ منها.

ختاماً في فضل قراءتها

ورد في فضيلة هذه السورة في حديث أُبيٍّ عن النبي ﷺ قال: مَنْ قَرَأَها أُعْطِيَ من الأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَات بِعَدَدِ مَنِ استَهْزَأَ بمحمَّد ﷺ وأصحابه[١٢].

وعن إمامنا الصَّادق عليه السلام: (مَنْ قَرَأَها في فَرائِضِهِ نَفَتْ عَنْهُ الفَقْرَ، وجَلَبَتْ عليهِ الرِّزْقَ، وَدَفَعَتْ عَنْهُ مِيتَةَ السُّوْءِ)[١٣].

١٢- التفسير الكبير للطبراني (٥٥٥/٦)، الكشف والبيان للثعلبي (٢٨٥/١٠)، تفسير جوامع الجامع الشيخ الطبرسي (٨٣٩/٣).

١٣- تفسير جوامع الجامع الشيخ الطبرسي (٨٣٩/٣).

الوزن والموازين
برؤىً وعدساتٍ قرآنية

عدسات القرآن الكريم حينما تتنقل بنا بين موازين الدنيا والآخرة تلتقط من المشاهد والرؤى ما هو مبهر ومتباين من المعايير المختلفة تماماً بين هذين العالمين! فالدنيا لدى الكثيرين – مع الأسف- لها موازينها التي تخرج بهم عن دائرة العدل والإنصاف، بينما نجد أن الآخرة أمرها مختلف تماماً، فليس هنالك إلا الموازين القسط والعدالة وحدها هي سيدة الموقف.

عامر عزيز الأنباري

ذكر الميزان في القرآن الكريم

* الميزان: اسم آلة من وَزنَ: آلة توزن بها الأشياء لمعرفة مقدارها من الثقل، وهو رمز العدل: إنّما أراد من ثقل وزنه فوضع الاسم.

* الميزان: العَدْلُ.[1]

لقد جعل الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز الميزان عنواناً للعدالة ورمزاً لها، والموازين عنده (جلّ وعلا) لا تتغير فهو الحاكم العادل، وقد قُدّر ما ذكر من لفظ الوزن والميزان في القرآن الكريم بحوالي ٢٣ آية، كانت ١٥ منها خاصة بإتيان العدل في الميزان والحذر من التطفيف في المكيال والميزان، و٨ آيات خاصة بالوزن في يوم القيامة.

﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾

ورد في كتاب الله العزيز الإشارة إلى معاجز صنعه تعالى في تقدير المقادير لكل ما خلق الله في عالم الماديات وعناصر الطبيعة التي تصل إلى أدقّ ما خلقه الله في الطبيعة. فالذرّة مثلاً (وهي أصغر جزء من العنصر الكيميائي ممكن الوصول إليه والذي يحتفظ بالخصائص الكيميائية لذلك العنصر)[2]، هذه الذرة رغم صغرها فهي مكونة من أجزاء ومقدرة بمقادير وأوزان ليس فيها اختلال، وهي تشكل أصل تكوين كل عناصر الوجود في الطبيعة من النبات والجماد، ولها أوزانها المقدرة بدقة متناهية، ولا يمكن اختلالها البتة. فالنبات مثلاً فيه مقادير وأوزان في كلّ ما فيه من عناصر وجزئيات، قال تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[3]، (فقد دلّت هذه الآية الكريمة على أن كلّ ما ينبت في الأرض

١- موقع المعاني: معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي.

٢- نفس المصدر.

٣- سورة الحجر، الآية ١٩.

له وزن خاص، وقد ثبت أخيراً أن كلّ نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركباً آخر.

وإنّ نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها بالموازين المعروفة للبشر)[٤]. كذلك العناصر الموجودة في جسم الإنسان، ففي دمه – مثلاً-هي مقدرة بأوزان دقيقة جداً واختلالها يتسبب له بأضرار صحية تتطلب المعالجة السريعة، فارتفاع نسبة الدهون الثلاثية أو الكلسترول في الدم وانخفاض نسبة الدهون الحميدة في دم الإنسان له نتائجه المعروفة طبياً في ارتفاع ضغط الدم، الذي يؤدي ازدياده المتفاقم إلى نتائج قد تودي بحياته فيصاب بنوبة قلبية أو جلطة دماغية.

لكلّ شيء ما يعادله من الجزاء

الأوزان في الحياة الدنيا هي بما تسالم عليه الناس بإعطاء كلّ شيء ما يعادله من قيمة مقابلة، والأمثلة واضحة في الموازين والبيع والشراء. وقد يعطى في الشيء ثمن بقدر قد لا يعادل قيمته الحقيقية، وهو بخس ينهى الله تعالى عنه بقوله سبحانه ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [٥]. فهو تعالى يدعو إلى العدالة في البيع والشراء والمروءة. قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [٦]. أما في عالم الآخرة فليس هنالك بخس أو تضييع أو هدر لحقّ، فلكل شيء ما يعادله من الجزاء، فلا يكون هنالك ظلم في إعطاء المرء ما يستحقه في موازين الآخرة، فأعمال المرء في الدنيا لها هناك ما يعادلها من الثواب أو العقاب وبحسب تلك الأعمال، قال تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [٨].

الميزان ليس مجسماً كما يظنون

أما عن ماهية الوزن للجزاء على الأعمال، فالميزان ليس مجسماً يوم القيامة كما يظنون، ورد (في حديث مسائل الزنديق عن مولانا الصادق عليه السلام قال: أوليس توزن الأعمال؟ قال: لا، إن الأعمال ليست بأجسام، وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها، وأن الله لا يخفى عليه شيء. قال: فما الميزان؟ قال: العدل. قال: فما معناه في كتابه: (فمن ثقلت موازينه)؟ قال عليه السلام: فمن رجح عمله)[٩] ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠]، الآيتان هنا إذن بحسب ما ورد عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام وعلمائنا الأعلام من الشيعة الإمامية، نحن نختلف عن غيرنا في ما جاء عن معنى الميزان في الآخرة (قال المجلسي: نحن نؤمن بالميزان ونردّ علمه إلى حملة القرآن، ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان)[١١].

القوة والعزة لله جميعاً

إذن فالموازين والمعايير مختلفة تماماً يوم القيامة، ولا تقاس بما نحن عليه في عالم الدنيا، فالكثير من الناس يضعون الجاه والثراء وكثرة الأولاد في أولويات اعتباراتهم في تقييم الآخرين، ولا يقدّرون من حولهم إلا وفق ذلك. أما عند الله فالأمر مختلف جداً ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [١٢]، كذلك من يعتبر العزة والمقدار بقدر ما للمرء من المنعة والنفوذ والقوة المادية وبكثرة ما يحظى به من الإخوان والأعمام والعشيرة أو السلطة والنفوذ، متناسين أنّ العزة والقوة لله جميعاً (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)[١٣]. ومن المؤسف أن يعطى لمن يمتلك هذه الامتيازات في عالم الدنيا -خصوصاً لمن هم من الطغاة والأشرار -التبجيل والتعظيم الذي لا يزيدهم إلا غروراً وتجبراً على الناس وكان من المفترض أن يكون الاستخفاف بهم وتجاهلهم هو الأولى؛ وذلك استنكاراً لما هم عليه من الطغيان والشرّ والتكبّر على الناس، ففي ديننا العظيم للمتكبّر على المتكبّر حسنة.

هم الأذلاء الأراذل يوم القيامة

أما عن الكيفية المختلفة في تعامل الله تعالى مع الكافرين والطغاة والمتكبّرين والجبابرة هو احتقاره لهم وامتهان الملائكة لهم، وبمجرد خروج أرواحهم من أبدانهم يرون بأمّ أعينهم ما هم عليه من البؤس، بل تُنتزع أرواحهم انتزاعاً شديداً باستقبال حافل من العذاب قبيل رحيلهم عن عالم الدنيا. قال تعالى: ﴿..وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ..﴾ [١٤]، وحينما تقوم الساعة فهم الأذلاء الأراذل الذين لا قيمة لهم عند يوم الحساب، ولا وزن لهم بين الخلائق قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [١٥]، وورد في المرويات أن هؤلاء البائسين يحشرون عند الحساب بهيئة الذر يطأهم الناس بأقدامهم استخفافا وتنكيلاً بهم وبخيلائهم الذي كانوا عليه في عالم الدنيا.

الصابرون لهم امتيازات خاصة

الصابرون لهم امتيازاتهم الخاصة، ولهم وزنهم واعتبارهم عند الحساب جزاءً على مكابدتهم. فالفقراء – مثلاً-بينما نجدهم في الكثير مما تشهده مظاهرنا الاجتماعية لا يؤخذون بنظر الاعتبار، فعادة ما تخصص الولائم الباذخة لأصحاب الأبهة والنفوذ دون الالتفات لحالهم وللمتعففين منهم، إلا أنهم يوم القيامة سيكون لهم قيمة واعتبار مميز في السبق إلى الجنان تحقيقاً لعدالة الله تعالى، فقد ورد أنهم (يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، فيأكلون ويشربون والناس يترددون في الحساب)[١٦].

ختاماً.. نقول:

بعد أن عرفنا كيف أن الموازين عند الله تعالى في تقدير قيمة العبد تختلف عما يدور في أذهان عشاق الدنيا، واستشهدنا بما ذكر في كتاب الله العزيز يكون لزاماً علينا تقدير الآخرين والتعامل معهم وفق تلك المعايير الإلهية، مختتمين حديثنا بما روي عن أحد الأئمة عليهم السلام أنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل كتم ثلاثة في ثلاثة: كتم رضاه في طاعته، حتى لا يستصغر أحد شيئاً من الطاعات، فلعلّ فيه رضاه. وكتم سخطه في معصيته، حتى لا يستصغر أحد سيئة، فلعل فيها سخطه. وكتم وليّه في خلقه، فلا يستخفنّ أحدكم أخاه، فإنه لا يدري لعلّه ولي لله)[١٧].

٤- البيان في تفسير القران (١/ ٤٣).
٥- سورة الشعراء، الآية ١٨٣.
٦- سورة الرحمن، الآية ٩.
٧- سورة الأنبياء، الآية ٤٧.
٨- سورة القارعة، الآيتان(٦-٧).
٩- مستدرك سفينة البحار الشيخ علي النمازي الشاهرودي، (١٠ /٢٩٥).
١٠- سورة الأعراف، الآية ٨.
١١- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، (١٠ /٢٩٥).
١٢- سورة الكهف، الآية ٤٦.
١٣- سورة فاطر، الآية ١٠.
١٤- سورة الأنعام، الآية ٩٣.
١٥- سورة الكهف، الآية ١٠٥.
١٦- تحفة السنية في شرح نخبة المحسنية مخطوط عبد الله الجزائري ص٥٨.
١٧- أعلام الدين في صفات المؤمنين الحسن بن محمد الديلمي ص١٦٩.

السنن الإلهية في القرآن

فطرية السير نحو التكامل والكمال في الانسان

الشيخ جاسم محمد الجشعمي
طوز خورماتو

قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

سورة التين: الآية ٤.

وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

سورة المؤمنون: الآية ١٤

السير نحو التكامل والكمال سنة من السنن الإلهية، وضعها الله في الحياة. فكلّ مخلوق من مخلوقات الله فيه درجة من الكمال بالقوة يصل إليها بالتدريج في عدة مراحل. وعند وصوله إلى مرحلته الأخيرة يظهر كماله بأبهى صورته. وفي هذه المراحل يتحول الكمال المودع في المخلوقات من القوة إلى الفعل.

الإنسان لا يشذّ عن هذه القاعدة

إنّ الله أودع في الإنسان درجة كبيرة من الكمال؛ قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ۞ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ [1]، وإذا ما استثمر الإنسان أدوات تحويل الكمال من القوة إلى الفعل، يصل إلى مرحلة خلافة الله تعالى. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً[2]﴾.

وهنالك أدوات كثيرة يمكن للإنسان ان يستثمرها ليصل الى كماله المودع عنده، ويتأهل لمرحلة خلافة الله تعالى. ومن أهم هذه الأدوات. الإيمان. الوعي. الإرادة. العلم. العمل. الاستقامة. التقوى. الأخلاق الفاضلة.

والوعي يعني أن يعرف الإنسان أين موقعه من الله، ومن الشريعة، ومن الحقّ. فعلى الإنسان أن يعرف نفسه قبل معرفته أي شيء آخر، لأن معرفته لنفسه هي التي ترسم له مساره في الحياة. ولذلك ترحم الإمام علي عليه السلام على الذين يعرفون أنفسهم ومواقعهم. فقال (رحم الله أمرءً عرف قدر نفسه). كثير من الناس -- وحتى بعض العاملين الرساليين - لا ينتبهون إلى أنفسهم ولا يعرفون أين موقعهم من الله، ومن الحق، ومن الإخلاص والأخلاق الفاضلة. ولا يقبلون من أحد أن ينبههم إلى ذلك. فيأتون إلى الحياة ويعيشون فيها على نمط واحد من السلوك والأخلاق ويودعون الدنيا كما كانوا، غافلين أن التغيير سنة في الحياة، فكان عليهم أن يغيروا من نمط سلوكهم الذي لا ينسجم مع الحق ومع المعاشرة المطلوبة

١- سورة الشمس، الآية ٧ -٨.

٢- سورة البقرة، الآية ٣٠.

والسلوك المطلوب. أما الإنسان الواعي فهو الذي يبحث دائماً عن عنوان موقعه عند الله وعنوان سلوكه وأخلاقه من الفضائل، وعنوان مواقفه عند الحق. فاذا وجد نفسه في موقع غير مرضي عند الله، وغير منسجم مع الحقّ والاستقامة المطلوبة، سواء على مستوى الفكر أو السلوك يسعى إلى تغيير فكره وسلوكه، وكلّ خلل في أخلاقه، ولا يعاند ولا يستمر فيما هو فيه. أما الذين لا يحاولون معرفة أنفسهم ولا يعرفون قدرها ومواقعهم عند الله، وعند الحقّ والاستقامة، فإنهم يخسرون دنياهم وآخرتهم وإن تظاهروا بالدين، وإلى ذلك أشار الله تعالى في قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [٣]، فالبقاء على سلوك أعوج لا ينسجم مع الإسلام، وهو يهبط بصاحبه إلى أسفل السافلين .

وهناك عقبات تعيق التكامل الإنساني نذكر منها:

١ـ الابتلاء:

هنالك عقبات تعيق الإنسان من السير نحو كماله. ومن ذلك الابتلاء، هي المعاناة والكبد وعلى الإنسان أن يعرف أنّ الابتلاء امتحانه في طريق وصوله إلى الكمال، فعليه أن يجتازه بنجاح ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [٤]، وهذا يعني أنّ الله خلق الإنسان في عناء وكدح وتعب، والابتلاء جزء من العناء.

واجتياز الابتلاء بنجاح عامل مساعدٌ للوصول إلى الكمال، إضافة إلى أنه فضيلة ودرجة يكتسبها الإنسان عند الله تعالى. ولكنّ ضعاف الإيمان لا يجتازون امتحان البلاء فيقعون في مصائد الشيطان. فالابتلاء رافع للإنسان وبالغ به لمراتب الكمال إذا ما نجح في تجاوزه، وفي الوقت نفسه قد يوقع البعض في مصائد الشيطان وهوى النفس إذا ما فشلوا في الاختبار.

٢ـ التعلق بالدنيا وزخارفها:

من العقبات الكبيرة في طريق وصول الإنسان إلى كماله، هو تعلقه بالدنيا وتفضيله الدنيا ومنافعها على القيم والمثل والمبادئ، وعلى الحق والاستقامة. فيتحول عندئذ إلى شخصية فارغة من المحتوى الإيماني الصحيح، والفكر الصحيح، والسلوك الرسالي الصحيح. فحبّ الدنيا هو جعل الدنيا محور الحركة والسلوك والمواقف، وهكذا حب الدنيا والتعلق بزخارفها على حساب الحقّ والرسالة، يسلب من الإنسان حقيقة الإيمان ويبعده عن الموقف الإيماني الصحيح، ويوقعه في الذنوب عند تقاطع حبّه للدنيا مع مهامه الرسالية. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله (حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة)[٥].

نعم الإسلام ليس دين رهبانية. فيمكن للمؤمن أن يواصل سيره الى الله وإلى كماله المنشود، ويتنعم بدنياه بالطريقة المحللة ويستثمر دنياه لآخرته، ويتخذ حب الله والتعلق به وبدينه محور عمله ويستثمر دنياه للتقرب إلى الله وخدمة العباد والبلاد. ولذلك جاء في الروايات (الدنيا مزرعة الآخرة).

٣- سورة التين، الآية ٤ - ٥.
٤- سورة البلد، الآية ٤.
٥- إرشاد القلوب، محمد حسن الديلمي (١/ ٢١).

الإمام الحسين ونبي الله يحيى عليهما السلام

قال تعالى:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

سورة مريم: الآية: ١٢.

الشيخ طه حافظ خميس

الآيات الأُولى من سورة مريم تحكي عن محاورة نبي الله زكريا عليه السلام مع الله تعالى بصيغة الدعاء، فيدعو زكريا أن يهبه تعالى الولد، ويذكر الأسباب لذلك، فتأتي استجابة الدعاء والبشرى بغلام مرضي، والتسمية من الواهب الحي القدير.

وهنا يأتي السؤال: لماذا يطلب هذا العجوز من الله عز وجل الولد؟ فزكريا رغم كبر سنه يطلب الولد، وأن يكون هذا الولد من الصالحين المرضيين، وذلك لأنّ رجال الله يخشون الوارث الطالح (خفت الموالي من ورائي)، فيطلبون الولد الصالح لتستمر مسيرة الأهداف المعنوية وتدوم. وبقرينة قول زكريا عليه السلام في سورة آل عمران: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة)[1] والمؤمن لا ييأس من رحمة الله تعالى، وإن طلب المعجز. وزكريا قد تجاوز عمره المائة عام.

وأيضاً هناك سؤال آخر، لماذا يدعو زكريا عليه السلام بنداء خفيّ. والنداء معناه في اللغة: الدعاء بصوت عالٍ. أما الخفي بمعنى الإخفاء وليس الإخفات. وكان نداء زكريا اخفاءً حتى لا يستهزئ الناس به في طلب الولد وهو عجوز، ثم إنّ الدعاء الخفيّ أكثر قيمة من غيره لأنه أقرب إلى الإخلاص. والدعاء

١- سورة آل عمران: الاية٣٨ .

والعبادة يمهدان لاستقبال رحمة الله تعالى. والأنبياء يحتاجون الدعاء لحلّ مشاكلهم، وإن كانوا قريبين من الله تعالى، وهم على علم أنّ في الدعاء تحولات في حياة البشر.

ثم إنّ الله تعالى وهبه اسماً لم يكن معروفاً عند بني إسرائيل (يحيى)، والاسم بحقيقته يكشف عن عقيدة الإنسان وثقافته وعواطفه وارتباطاته وأهدافه وشعاراته وقضاياه.

والبشرى العظيمة أنّ هذا الموعود سيكون نبياً مرسلاً، وجاء تأكيد ذلك بمنحه الكتاب والحكمة وهو صبي. ما إن تقلّد يحيى عليه السلام مهام القيادة، حمل تعاليم السماء وبلغها على أحسن حال وحافظ على صيانة الشرعة الإلهية. ثم بعد أن تعرضت الأحكام السماوية إلى الهتك والتسويف والاستهانة بها من طاغية عصره، تصدّى له ومنعه من التمادي في غيّه، وأرشده إلى الرجوع إلى أحكام الله تعالى والالتزام بأمره ونواهيه. ولما لم يذعن ذلك الطاغية لتوجيه النبي يحيى عليه السلام وإرشاده، وعمل الفاحشة مستحلاً الحرام غير مبالٍ، عندها وقف نبي الله يحيى عليه السلام مصرحاً بحرمة عمل الطاغية ومن معه من أعوانه، ولو كلفه ذلك التضحية بالغالي والنفيس.

وفعلاً كانت النتيجة أنه يقتل ويراق دمه، ولم يتراجع عن مهمة تبليغ الأحكام الإلهية. فقدم نفسه الطاهرة لتكون صرحاً تبنى عليها الأحكام وتمضي على خطاها رسالة الأنبياء.

أما الحسين عليه السلام فجاء بدعاء جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله حيث دعا الله أن تكون ذريته في ابن عمه وبضعته عليها السلام [٢] وليكون هو وأخوه سبطي هذه الأمة وسيدي شباب أهل الجنة، فسبق الحسين عليه السلام أخوه الحسن عليه السلام بسنة أو أقل، ثم شرف الحسين عليه السلام في السنة الرابعة لهجرة النبي صلى الله عليه وآله. وصرح النبي صلى الله عليه وآله أن شخص الإمام الحسين عليه السلام وإرثه في (جرأتي وجودي)، وأخبر عنه في يوم ولادته الميمونة أنه سبط من الأسباط وأن من صلبه تسعة أوصياء. فعندما بشّر الرسول صلى الله عليه وآله بولادة الحسين عليه السلام أسرع إلى بيت فاطمة عليها السلام وطلب الولد، فدعاه ابني حينها فقال صلى الله عليه وآله لأسماء: (هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره، وبكى، فقالت أسماء: قلت فداك ابي وأمي مم بكاؤك؟ فقال: على ابني هذا. قلت: إنه ولد الساعة. قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية ...)[٣]. ثم سمّاه حسيناً كما سمّى أخاه حسناً[٤].

أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله ساعة استقباله لسبطه ورؤيته بعد أن اغرورقت عيناه بالدموع أن سبطه هذا يقتل من بعده وقاتله الفئة الباغية من أمته وذلك بقوله صلى الله عليه وآله: (تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي)[٥].

وأخبر كيف يقتل، ولأي سبب يقتل، كما إنه أخبر كيف تسبى ذريته وأنّ الحسين عليه السلام يقتل وحيداً فريداً بعد أن يمضي ناصروه القليلو العدد وأن أبويه قد مضيا وكذا أخوه الحسن عليه السلام.

وبعد هذا الموجز البسيط يمكننا أن نجري مقارنة بين الإمام الحسين ونبي الله يحيى عليهما السلام فنقول:

إنّ نبي الله يحيى عليه السلام جاء بدعاء نبي الله زكريا عليه السلام، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام جاء بدعاء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

في يوم ولادة يحيى عليه السلام ملأت الفرحة قلب نبي الله زكريا عليه السلام مستبشراً بقدومه المبارك، وامتلأ قلب رسول الله صلى الله عليه وآله ألماً وحزناً لما يلاقيه ولده الحسين عليه السلام من بعده.

لم يكن اسم يحيى مألوفاً ومعروفاً عند بني إسرائيل حتى ولد عليه السلام وسماه نبي الله زكريا بوحي من السماء، وكذا الإمام الحسين عليه السلام لم يكن اسمه معروفاً في الجاهلية عند العرب فجاء اسمه بوحي من السماء.

قطع رأس نبي الله يحيى عليه السلام، وأهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، وكذا الحسين عليه السلام قطع رأسه وأهدي إلى بغي من بغايا بني أمية.

تكلم رأس يحيى بن زكريا عليه السلام بعد قطعه، وكذلك رأس الإمام الحسين عليه السلام.

الأول يبطل أحكام الطاغي المبتدعة ويشير إلى أحكام الشريعة الحقة، والرأس الثاني يبطل خلافة بني أمية المبتدعة ويذكر الناس بالعودة إلى جادة الشريعة المقدسة والعمل بها وبالسنة النبوية الشريفة[٦].

قتل نبي الله يحيى عليه السلام فتسرع تلاميذه إلى دفنه، أما الامام الحسين عليه السلام، فقد قتل وترك على وجه البسيطة ثلاثة أيام على رمضاء كربلاء بلا دفن.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً الزهراء عليها السلام: (... وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه..). المصدر الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ص٢٤. ونتاج هذا الزواج ولادة الحسن والحسين عليهما السلام.

٣- الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ٨/٤٧.

٤- ولم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين. ينظر: حياة الامام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي: ١/ ٣٠.

٥- اعلام الورى باعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ١/ ٤٢٧.

٦ تكلم الرأس الشريف بعد القطع في سبعة مواضع وفي كل مرة يحذر وينبه إلى قاتله والأمة التي ظلمته (راجع أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، السيد محمد الصدر ص٢٤٦.

فن أساليب الكلام
في البيان القرآني

سمير جميل الربيعي

إن لغة العرب من أكثر اللغات حلاوةً في البيان واتساعاً في التعبير، وأقدرها على التعامل مع الألفاظ ومعانيها، ناهيك عن استعمالاتها من مجاز وحقيقة وتشبيه وكناية واستعارة ...الخ، وهي على ما فيها من عذوبة ودقة وبيان وخصائص أخرى قد لا تجدها في لغة أخرى، فهي تتميز أيضاً بكثرة الألفاظ التي وضعت لمعانيها، وقد يقول القائل وأي فخر تدّعونه من كثرة الألفاظ؟ فما هي إلا مرادفات تسالم عليها أرباب اللغة. والحق يقال إنّ أية لفظة فيها ما وضعت إلا لمعنى معين تتناسب مع حالة المعنى ومناسبته وظرفه. فالأسد مثلاً هذا الحيوان المفترس، قد جمعت له أسماء متكثرة أقلها مائة وخمسين اسماً وأكثرها خمسمائة اسم، بحسب ما ادعاه السيوطي وابن خالويه. وعلى كثرة هذه الألفاظ فإنها وضعت وفق مناسبات وحالات معينة صدرت منه لا يجري تسميته بها إلا إذا وقع في حيزها وضمن حدودها؛ فلا يقال له (غضنفر) مثلاً إلا لو نفشت لبدته، ولا يقال له (الورد) إلا لو مدّ صلبه، ولا يقال له (سابح) إلا لو كان في حالة الجري، ولا يقال له (حيدرة) إلا إذا غلظ، فلكل موقف للأسد مفردة خاصة به، ومن الخطأ أن يقال إنها مرادفات اجتمعن لحيوان مفترس، وهذا يكشف عن ترقٍ عالٍ في مدارج كمال اللغة عند العرب.

ولما كان القرآن قد نزل بلغتهم وراعى ذوقهم في استعمل ألفاظهم وأفانين الكلام عندهم، وراعى ما راعوه في أن تُبعث الألفاظ لتقع على معانيها فتؤدي وظيفتها ونصيبها من المعنى، من دون أن تتعدى مفردة على أخرى، فتأخذ نصيب أختها من المعنى. ولعلّ قائل يقول ممن أوجد في نفسه شيء على قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها﴾ (١)

كيف تدعون أن القرآن حفظ لكل كلمة حقها من المعنى دون أن تتعدى كلمة على كلمة أخرى، والقرآن قد استخدم لفظة (فيها) في جملة (فتهاجروا فيها) وحقها أن يستعمل كلمة (إليها)، باعتبار أن العرب تقول (هاجرت إلى) ولا تقول (هاجرت في). والحقيقة تنبئ أن ليس هناك تعدٍ بل هو أقرب إلى تبادل الأدوار ما بين حروف الجرّ من أجل بيان فكرة ما، والقرآن معروف عنه وضع الشيء موضعه، فلو استعمل كلمة (إليها) في هذه الآية جرياً على لسان العرب، لاقتصرت ملكية الله للأرض على التي سوف ينتقلون إليها فقط دون الأرض التي يهاجرون منها، والحال أن كل الأرض ملكيتها لله سبحانه وتعالى، سواء التي ينتقلون منها أو التي ينتقلون إليها من هنا نستدل على أن القرآن هو أولى بهذا الكمال.

ورغم أن اللغة العربية رحبة الأفق واسعة الاشتقاق إلا أنها لا يمكنها أن تتسع لمفاهيم القرآن الدقيقة والجديدة عليها، وحتى تكون مؤهلةً لتصبح ترجمان القرآن ولسانه ، لا بد أن تتسع دوائرها وتستقبل ما جاء به القرآن من مفاهيم وظف لها مصطلحات لم تستعملها العرب في عرفها اللغوي، وهذه المفاهيم والمصطلحات استعملها القرآن لما وضعت له وضيّق استعمالها والتصرف بها، وشدّد على أن تفصل بين المفردة وأختها، من أجل ألا تضيع الحقائق وتختلط المعاني في زحمة الألفاظ، وهذا ما أسس له، فلا يأتي أحد فيحتمل وقوع هذه المفردة على غير ما يقصده القرآن ولا لفظ مكان لفظ آخر.

إن كل كلمة في القرآن تحمل معنىً جديداً وإيحاءً خاصاً في النفس، فكلامه قد فصلت عباراته وأحكمت ألفاظه، وحُفّت فيما بينها بالفروق الدقيقة والإشارات والدلالات المميزة، التي وضعت بإتقان بديع. من هنا نفهم لماذا قال الله تعالى مخاطباً الأعراب في قوله:

﴿قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾ (٢)

فلفظة (أسلمنا) لها مرتبة ولفظة (آمنا) لها مرتبة أعلى، وفي قوله:

﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٣)

فكلهم وأجمعون قد يتصور البعض إنهما كلمتان مترادفتان متّحدان في الحقيقة والمفهوم على وجه التطابق الكلّيّ، وإنهما وردتا لفائدة السياق أو وردتا للتأكيد، والحال أن هذا القول خطأ بيّن قد يقع فيه الكثير، فلفظة (كل) تدل على الإحاطة والشمول، أما كلمة (أجمع) فتدل على الضم والاجتماع، وبحسب هذا الفهم تكون (كلهم) تأكيد الوحدة في الفاعل، أي إنّ الذين امتثلوا الأمر هم الملائكة بأسرهم، فكأنهم فرد واحد في امتثال الأمر، ولو قال (فسجد الملائكة) ولم يقل (كلهم) فقد يفهم أن بعضهم لم يسجد، وأما كلمة (أجمعون) فهي تأكيد الوحدة في الفعل، أي إن الملائكة قاموا بعملية السجود فكأنهم فرد واحد في حركة السجود، ولو لم يردف بـ(أجمعون) لاحتمل أن السجود لم يكن دفعة واحدة.

كما إن للقرآن استعمالات لم تستعملها العرب على سعة لغتها ومرونتها ، ففي الآية:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً﴾ (٤)

في الآية الكريمة استعمل القرآن اقتضاء المفارقة في المعنى بين الولد والمولود، في إثبات نفي مجازاة الولد لوالده يوم القيامة تماماً، وبيان ذلك في أمرين الأمر الأول يكمن في عدول القرآن من كلمة الولد إلى المولود ، باعتبار أن المولود هو الابن المباشر لوالده في حين لفظة الولد تشمل كل من انحدر من صلب الرجل كابن الابن وإن نزل والجدّ والد وإن علا، فكأنه يريد أن يقول للمسلمين الأوائل الذين كانوا يعتقدون أن باستطاعتهم مجازاة آبائهم وأجدادهم الذين ماتوا على الكفر يوم القيامة، إن كان الابن المباشر (المولود) لا ينفع والده ولا يجازيه يوم القيامة، فمن باب أولى لا يجازي الابن غير المباشر (الولد) عن جدّه، ثم زاد في توكيد نفي المجازاة بأن أضاف الضمير المنفصل (هو) في جملة (هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ) الذي يفيد توكيد النفي هنا، وأتبعها بلفظة (شيئاً) حتى ينفي جنس المجازاة.

إن القرآن قد استعمل ظاهرة الالتفات، وهي أن يلتفت المتحدث من استخدام كلمة إلى استخدام كلمة أخرى، ويعدل عن مفردة إلى مفردة أخرى في مواضع خاصة لمقتضى مصلحة يريد أن يثبتها المتحدث، كما في قوله تعالى:

﴿قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥).

استعمل القرآن كلمة (ضلال) في اتهام قوم نوح لنبي الله نوح، وفي رده ﷺ لاتهامهم إياه عدل باستعمال كلمة (ضلالة) دون كلمة (ضلال)، والفرق قد لا يتضح إلا لذوي الفن والحرفة، وسوف يتبين لنا الحكمة في استعمال كلا اللفظتين واختيار موضعيهما واختيار حروف الجر التي سبقتهما. فكلمة ضلال هي اسم مصدر مشتمل على فعل (ضلّ) وقد جاء نكرة وهذا يفيد الإطلاق والشمول، فكأنّ القوم اتهموا نوح بكلّ أنواع وأفعال الضلال، وإن هذا الضلال الذي هو عليه كبير وواضح غير مستتر بحسب زعمهم لأنه جاء مضافاً إلى كلمة (مبين)، ثم إن حرف الجر (في) الذي سبق كلمة ضلال يفيد الظرفية والإحاطة، فكأنهم يقولون له قد أحاط بك الضلال الكبير البيّن من كلّ جانب، أما في رد نوح ﷺ على تهمتهم الباطلة ، فقد استعمل لفظةً (ضلالة) في نفي التهمة عن نفسه في قوله (ليس بي ضلالة)، فـ (ضلالة) هي اسم مرة، وكما هو معروف من اسمه هو اسم تضمن فعل لمرة واحدة، ثم جاء بحرف الجر (بي) قبل كلمة ضلالة الذي يفيد هنا التمسك والتعلق، وكأنه يقول لهم كيف تتهموني بالضلال الكبير الواضح، وأنا لم أفعل ولم تتعلق بي فعلة ضلال واحدة في حياتي، ولو لم يلتفت نوح إلى استخدام كلمة (ضلالة) بدل (ضلال)، فقد يفهم أن نوح ﷺ نفى عن نفسه الضلال الكبير، ولكنه قد يكون أتى بالقليل منه، ويكون بذلك قد أثبت على نفسه الضلال القليل وحاشاه أن يفعل ذلك. انظر حكمة ودقة استعمالات القرآن الكريم؛ فسبحان الله عما يصفون، وتعالى علواً كبيراً.

١- سورة النساء، الآية ٩٧.

٢- سورة الحجرات، الآية ١٤.

٣- سورة الحجر، الآية ٣٠.

٤- سورة لقمان الآية ٣٣.

٥- سورة الأعراف، الآية ٦١.

صاحبة التفسير اليسير

جمانة هبة الدين الشهرستاني

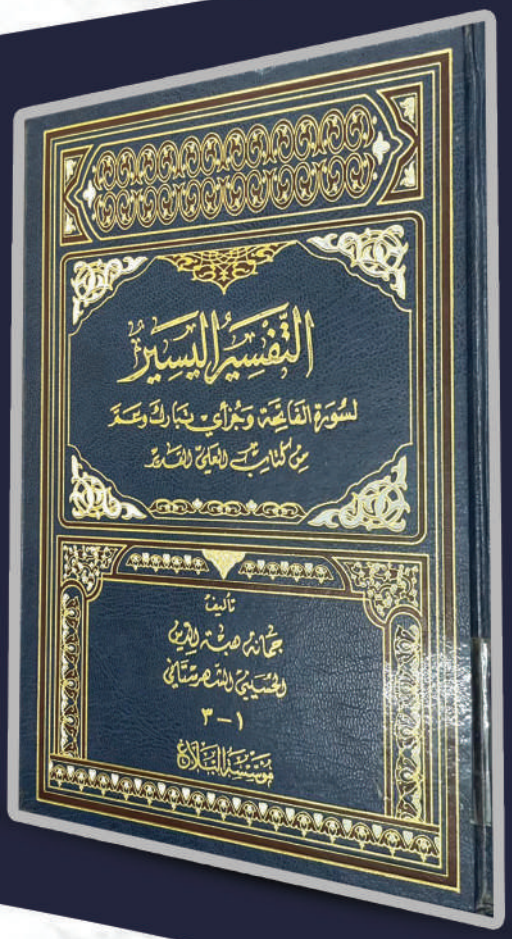

حيدر صباح

ربيبة العلماء، كريمة الآباء، تمتاز بمنهجية دقيقة، ومفردات لطيفة عميقة، بديعة التفسير رائعة التعبير، كيف لا وهي من سلالة حليف القرآن، وبليغ الخطابة والبيان، غزيرة المعاني، وشارحة السبع المثاني، المفسرة العلوية (جمانة الشهرستاني).

هي السيدة جمانة، صغرى بنات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والذي يعود نسبهم إلى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، والدها عالم من علماء الدين، له مؤلفات كثيرة منها التفسير، وغيره من المؤلفات القيمة والنشاطات العلمية والاجتماعية، فقد أسس مكتبة الجوادين العامة في الصحن الكاظمي الشريف سنة ١٩٤١م. وقد تبوأ منصب أول وزير معارف في العراق في عهد الملك فيصل الأول سنة ١٩٢١. اشتهر بنهجه الإصلاحي، وهو من كبار المجددين.

المؤلفة بين والديها

ولدت المؤلفة في بغداد عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م فأرخ والدها سنة ولادتها بـ (خير النساء)، وترعرعت في أحضان بيت ساده العلم والدين، وأمها ضليعة في الفقه والمسائل الشرعية. تقول المؤلفة: (نشأتُ في أحضان والدتي ورعاية والدي وكانا يوجهاني وإخوتي جميعاً توجيهاً دينياً، فيغرسان في قلوبنا حب النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، ويحثانا على الاقتداء بهم وبسيرتهم. وكثيراً ما كان والدي رحمه الله يتلو علينا آيات من القرآن الكريم تعبق بالتوجيه الخلقي الرفيع من أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر وإطاعة الوالدين وإغاثة للملهوفين والضعفاء والمساكين، وكل ما يغرس في نفوسنا النبل والكرم، وكثيراً ما كان يقصّ علينا شيئاً من القصص الواردة في الكتاب العزيز، فكنتُ مولعة بما يقول ومتطلعة للعمل بما يأمر؛ لذا صار يحثني على حفظ قصار السور من جزء عم وتفهّمها وينشّطني لحفظ نماذج من الأشعار التي قيلت في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام كالقصيدة الكوثرية للسيد رضا الهندي، وما يقال من شعر في بيان مكارم الأخلاق والحكمة. ولمّا وجد عندي حضور الذهن والالتزام بتوجيهاته علّمني شيئاً من النحو وحفّظني بحور الشعر والأوزان الشعرية).[1]

أكملت المؤلفة دراستها، فتخرجت عام ١٩٥٥م في علوم اللغة العربية من كلية (الملكة عالية) بمرتبة (الشرف)[2]، ويقول شقيقها العلامة

١- رسالة خطية من المؤلفة خصت بها مجلة ق والقرآن المجيد.

٢- التفسير اليسير، (١٤/١). تصدير السيد جواد الشهرستاني (بتصرف)

السيد جواد هبة الدين: (ذات يوم اختبرها والدنا في مسائل نحوية كان لبعضها وجوه متعددة في الإعراب، فلم تتردّد وأجابت في الحال بالجواب الذي كان عين الصواب مما سرّه كثيراً فقال فيها:

سيبويه النساء عندي جمانه

مَظهَر العلم والتقى والديانه

لو رآها ابن مالك لاشترى من

علمـها نـبذة تفيـد بيانـه[٣]

بعد تخرجها أصبحت مدرسة لمادتي اللغة العربية والدين في المدارس الثانوية، ومن بعدها معاونة مديرة الإعدادية. أما في سنة ١٩٧٣م فأصبحت مشرفة تربوية، من بعدها تخصصت في الإشراف على تدريس اللغة العربية للصفّين الخامس والسادس الابتدائي، وشاركت في تأليف الكتب المدرسية بتكليف وزاري من (المجلس الأعلى لمحو الأمية)، واشتركت عام ١٩٨٠م في لجنة تأليف تفسير القرآن المسمى (القرآن الكريم تلاوته ومعانيه) للمراحل الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، وفي عام ١٩٨٣م طلبت الإحالة على التقاعد.[٤]

وتقول المؤلفة: (فبدأتُ في سنة ١٩٩٦ بمراجعة ما كتبتُ وتطويره اعتماداً على تفاسير جهابذة المفسّرين وفطاحل العلماء، وتوجت كتابي بتفسير سورة الفاتحة، حيث لا غنى للمسلم عنها في خِضمِّ حياته وكان الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي المُعتمد الأول من القدماء في كتابتي، والسيد الطباطبائي من المُحدثين رحمهما الله)...، وقالت أيضاً: (بعد إنجاز كتاب التفسير اليسير طلب مني عدد ممن قرأ الطبعة الأولى أن أمضي في تفسير سِورٍ أخرى من القرآن الكريم، لكني اعتذرت بسبب ضعف النظر وكلال البصر وما أصاب ذاكرتي من كبر السن وملازمة المنزل... كلّه يحول دون ذلك وكنت أردّد قول والدي:

تركت الوعـد فـي شيبـي

لأن الشيخ قـد ينسـى

خـصوصـاً أننـي أنسـى

وأنسـى أننـي أنسـى[٥]

يذكر السيد جواد الشهرستاني في تصديره للتفسير: وقد عهدتها جادة في العمل مع إجادة فيه منذ أن صرفت حياتها الدراسية والتدريسية في إتقان اللغة العربية والتمكن منها في صدر حياتها، وأنجزت خلالها من مخطوطاتها أبحاثاً قيّمة في (المجاز العقلي) و(النحت والتركيب) في اللغة العربية، وعن (إخوان الصفا وخلان الوفا في التاريخ)، ولكن هذا المؤلَّف وقد أسمته بـ (التفسير اليسير لسورة الفاتحة وجزأي تبارك وعم من كتاب العلي القدير) لمستُ فيه من الجهد الرائع والإعداد البارع، وما أحسبه قلّ أن يضارعه مضارع، من حيث الجودة والإتقان وحسن العرض ومتانة البيان، لذا كتبتُ له تصديراً لأنني رأيت بحقّ أن هذا التفسير جدير بالثناء والإطراء والتقدير لوجوه شتّى، منها أنها الفريدة من النساء طرقت باب التفسير لآي الذكر الحكيم.[٦]، ويقول أيضاً: إن الحاجَّة جمانة رأت فيما بعد أن تتوسع فيما عهد إليها من جزأي (تبارك وعمّ) بما توفر لديها حول سور هذين الجزأين، اللذين على وجازة سورهما، وما حوَت من آيات قد يعسر فهمها على بعض الأذهان لاحتوائها على كلمات غامضة وتعابير عسيرة على بعض الأفهام، بالإضافة إلى ما حوَت من قضايا معقّدة ليس بيسير الإحاطة بها، لذلك نهضت بتفسيرها عن جدارة وتمكّن، واستطاعت توضيحها بأوجز وبأبسط أسلوب وأسهل تعبير...، إلى جانب بحثها الوافي بشأن التفسير وأساليب المفسّرين، وطبقاتهم والأحرف السبعة والقراءات السبع، وأسماء القرآن ومعانيها والاستعاذة وصيغها على نحو يدعو إلى الإشادة بها، مع الإعجاب بما أعدّته وأجادت فيه)[٧].

نتمنى للمؤلفة طول العمر والعافية في الدنيا والآخرة وأن يحشرها الله مع أهل الذكر، أهل القرآن محمد وآله الطاهرين، وأن يجعل القرآن لها شفيعاً في يوم الحساب إنه سميع مجيب.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه، ص١٥ بتصرف

٥- رسالة خطية من المؤلفة خصت بها مجلة ق والقرآن المجيد

٦- المصدر نفسه، ص١١

٧- المصدر نفسه، ص١٣.

ومضات

قد يرى قارئ القرآن كلمات قد تكررت في آياته، وقد يفهم البعض أنّ لها معنى واحداً. والحقيقة ليست كما يتصور، بل إنّ لكل كلمة معنى يناسب الآية التي تضمّها؛ ومثال ذلك كثير نذكر منه كلمة (القضاء)، وقد وجدت لهذه الكلمة أربعة معاني مختلفة وهي كالاتي:

قضاء الخلق: قوله تعالى:

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ (١).

قضاء الحكم: قوله تعالى:

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى:

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)،

وقوله تعالى:

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤)

قضاء الأمر: قوله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٥)

قضاء العلم:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ (٦).

وهناك مواضع أخرى ذكرت فيها كلمة القضاء ولكنها لا تخرج عن هذه المعاني الأربعة.

متى يكون الجواب بـ(نعم) ومتى يكون بـ(بلى).

يكون الجواب بنعم لتصديق الخبر نحو قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٧).

وبعد الاستفهام المثبت نحو قوله تعالى:

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۞ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٨).

وقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٩).

أما (بلى) فيكون جواباً عن النفي فتبطله مجرداً كان أو مقروناً بالاستفهام، نحو قوله تعالى:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ (١٠).

هذا المجرد عن الاستفهام. أما المقرون بالاستفهام قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١١).

١- فصلت : ١٢.
٢- الزمر: ٦٩.
٣- الزمر: ٧٥.
٣- الزمر: ٧٥.
٤- يونس: ٥٤.
٥- الاسراء: ٢٣.
٦- الاسراء: ٤.
٧- الأعراف: ١١٣،١١٤.
٨- الصافات : ١٦،١٧،١٨.
٩- الشعراء: ٤١،٤٢.
١٠- التغابن: ٧.
١١- الأعراف: ١٧٢.

للقرآن أعداء

التطاول على القرآن الكريم والإساءة له هذه الأيام ليس أمراً غريباً، ولا هو أمر جديد مستحدث على أولئك الذي ركبوا خشبة الإلحاد، وجدفوا بها وسط خضمّ بحر الكفر والانحلال والفسوق، يرجون من وراء الخوض بالقرآن والاستخفاف به نيل حظوة عند الغرب، عسى بفعلهم هذا يلقون قبولاً من لدنه، وقد أغراهم بذلك وأوحى لهم إن هم أقدموا على ما أمرهم به، فسوف يتيح لاقنيتهم الاتصال بقنواته الآسنة، ألا ساء ما هم فيه يخوضون، ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. أيظنون أنّ الغرب سيحفظ لهم ذلك، بئس ما ظنوا وبئس ما كانوا يصنعون ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، ووشيكاً سوف تنكسر بهم هذه الخشبة فيهوون في هوةٍ سحيقة.

لقد اعتمد الغرب سياسة محاربة الدين الإسلامي ومحاولة ضربه بالصميم، باعتبار أنّ الإسلام يمتلك عقيدة دينية صحيحة، وهم على دراية كاملة بأنّ العقيدة الصحيحة تمثل المؤشر الحقيقي والمعيار الكاشف عن مواطن الكفر عندهم والفساد والانحلال الذي هم فيه، وهذا خطر يهدد كيانهم ومصالحهم. من أجل ذلك كان لا بدّ من نقضه وتقويضه، ولا يكون إلا من خلال إبطال معجزته الخالدة المتمثلة بالقرآن الكريم، إذ يعلمون علم اليقين أن بقاء الرسالة المحمدية منوط ببقائه ومتوقف عليه، ورغم علمهم بعدم جدوى مقارعته، لأنّه الأنموذج الذي عجزت عن معارضته أمة العرب وهي ما هي عليه من البيان، ولكنهم لم يألوا جهداً ولم يدخروا وسيلة وتجربة إلا جربوها؛ علّهم يطيحون به أو ينالون منه، وكان أهون ما يتهمونه به أن يزعموا أنّه من وضع البشر، وفي آياته تضارب وتهافت كبير، رائدتهم في ذلك إسرائيل التي جربت ذلك من قبل فطبعت نسخاً مزورة من المصحف الشريف؛ تبتغي من وراء ذلك التشكيك في سلامته، وإثبات أنّه من وضع بشري.

وبعدما أخزاها الله وألبسها ثوب الخيبة والفشل، وبعد اليأس هي وقبيلها ومن تابعها من الملحدين في إثبات أن القرآن هو من عند غير الله، جربوا سبلاً متعددة واحدة تلو الأخرى، ولكنّ محاولاتهم أيضاً باءت بالفشل الذريع، لذا لجأوا إلى ما يلجأ إليه الخاسر عادة حينما تكون كلّ محاولاته وجرةً في صدره وغصةً في حلقه، ولم يعد يحتمل صبره واتزانه، حينها لا يملك إلا أن يسخر أقلاماً وضيعةً وألسنةً ساقطةً، وكل أهوج أحمق يرتع في كبا الغرب وقمامته، لينال من القرآن شتماً وتعريضاً وتمزيقاً وحرقاً. وقد ارتفعت هذه النبرة وازدادت وتيرتها وبلغت ذروتها هذه الأيام، في بلاد الغرب الذي سمح بها تحت ذريعة حرية الرأي، لينبري اللقيط (سلوان موميكا) وسط حماية سويدية، وأمام أنظار الملايين من المسلمين فيحرق القرآن، أنظروا كيف تجرأ هذا الكلب على فعلته الوقحة هذه، وهو يبصبص بذنبه تملقاً لأسياده لعلهم يتحننون عليه فيلقون له بعض فتاتهم، أو يسمحوا له بلعق قصاعهم، وعقب هذه المناورة الرخيصة مباشرة، قامت إحدى دور الطبع مدفوعة الثمن والمشتراة من الغرب، بطبع نسخ من القرآن الكريم ملونة بألوان المثلية.

إن هذه الممارسات غير الأخلاقية التي يمارسها الغرب أو يسمح بها حرباً على القرآن، لم تحترم مشاعر المسلمين في العالم، ولم تبال إن كان ذلك يجرح عواطفهم، ويعقل حرية الفكر والمعتقد عندهم، وهو الذي يدعي أنّه راعي الحريات وحقوق الإنسان في العالم، وما دعواه إلا محض كذب وخرافة وافتراء، فرغم التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحرزه إلا إنّه ما زال في غياهب التخلف الحضاري، وأي تخلف حضاري أكبر من محاولة إلغاء الآخر لمجرد أنه يحمل فكراً مغايراً لفكره.

١- سورة الكهف، الآية ١٠٣-١٠٤.

ولو انتهوا لكان خير لهم

كلّ كلمات الاتهام التي وجهوها صوب القرآن لا تتعدّى كونها اختلاقات وبدعاً ابتدعوها بأهوائهم ونظموها بآرائهم، لا ينطلقون فيها على محجة صواب واضحة، أو من متبنّى قائم على أساس معقول عندهم أو عند غيرهم، بل ينطلقون من حالة فوضوية معقّدة يريدون أن يتهربوا من خلالها من ورطة كبيرة وضعوا أنفسهم فيها. فهم حينما واجهوا القرآن لم يكونوا جادين في طلب الحقّ والبحث عن الحقيقة، وإنما أرادوا بأيّ شكل من الأشكال دحض ما فيه، أو التعمية عليه ولو بالأباطيل والجدل والنحل الحاسرة. وليس أمامهم إلا ما سوّلت لهم به أنفسهم من إثارة الخصومة، والخوض في غمرة الباطل ولججه، ولو أنّهم وجدوا ما يعززوا به موقفهم السلبي تجاهه أمام الآخرين في مجتمعهم، لما احتاجوا أن يتذرعوا بالأوهام أو أن يتكئوا على باطل القول في إعراضهم عنه، فقد جانبتهم الحجج المنطقية وأبت عليهم الموافقة، فلم يجدوا معلولاً يعتمدون عليه غير خيالات فاسدة وتمويهات باردة لا قيمة لها، يظهر فسادها من أول النظر.

فمرّة زعموا أنّه أضغاث أحلام ﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ﴾[1]، **ومرّة زعموا أنّه سجع كاهن أو سحر ساحر** ﴿قَالَ الكَافِرُونَ إِنّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾[3]، **أو تخرّصات مجنون** ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[4]، **أو هو شعر تقوله شاعر** ﴿بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[5]، **ومرة زعموا أنّه من أساطير الأولين**

١- سورة الأنبياء، الآية ٥.
٢- سورة يونس، الآية
٣- سورة يونس، الآية ٧٦.
٤- سورة الدخان، الآية ١٤.
٥- الأنبياء، الآية ٥.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦]، **وتارة زعموا أن القرآن نتاج تأليف جماعة ممن امتهنوا الفلسفة أو من علماء أهل الذكر ألقوه في روع محمد** ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[٧]، **أو هو مفترىً متقوّل على الله والقرآن من مفترياته، (**بَلِ افْتَراهُ**).**

تهمة تلو أخرى لا أصل لها حاولوا إلصاقها بالقرآن وهو منها براء، وهم يعلمون ذلك، ولكنّهم يصرّون على تأصيلها أملاً في أن تلتصق به، أو شيئاً منها أو تلحق به بعض تبعاتها فتحطّ من مكانته وتنال من شأوه، وهم على الأقل قد حاولوا ولم يعدموا المحاولة أمام أنفسهم وأمام الآخرين.

إنّ ما فعلوه هو استجابة لأهوائهم وإرضاء لغرورهم في التصدي له، لكن هيهات أنْ ينزُف البحرَ المستنزفون، أو أن تنال الريح من ثبات الجبل الأشمّ. لقد ذهبت محاولاتهم باطلاً؛ فعظمة القرآن لا يمكن المساس بها رغم كلّ محاولاتهم، وقد اعترفوا بعظمته في أماكن خلوتهم وحين نجواهم في موضعين؛ الأول حينما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، وهذا كاشف عن توجسهم وخوفهم من شدّة تأثير بيانه وقوته وحجته في النفوس، وأخذه بمجامع القلوب حين سماعه ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[٨]، **والثاني حينما أعرضوا عن تحدّيه، فقد عجمت ألسنتهم عن مناجزته، وكلّ اقتدارهم عن بسط الكلام أمامه، وهم فحول البلاغة والشعر وخطباء العرب، الذين ذاع صيتهم بين الناس. أليس في ذلك إقرار منهم بالعجز والفشل الذريع.**

إنّ الذي جاؤوا به أصبح يتهافت ويتساقط أمام أعينهم، ولم يبق لهم مزعم يلوذون وراءه، أو رأي يصولون به، فإنْ قالوا أضغاث أحلام، ارتدّت عليهم هذه الكلمة بما يسفّه أحلامهم ويهزئ بعقولهم، فأضغاث الأحلام هي صور مضطربة تتمثل للإنسان حين منامه، نتيجة اختلاجات نفسية وضغوط حياتية يفرزها العقل الباطن، تبرز على شكل أحداث لا تناسق فيها، ليس لها أساس من واقع وموقع من فكر، في حين يرون بعين اليقين، أنّ الآيات القرآنية مليئة بالفكر والروح والحركة والحياة والثبات على الحقيقة والواقع، فكيف يسمح العاقل لعقله أن يتعاطى الوضوح مع الإبهام والنور مع العتمة والظلام؟ ولهذا أعرضوا عن ذلك لأنّه لا يقبله منهم أحد من ذوي الحجى.

وإنْ قالوا سحر أو كهانة، فهذا أيضاً مردود عليهم لا يقبله منهم إلا الأنوك الخِلط، إذ إنّهم يعرفون السحر ومسالكه والكهانة وطرائقها، ومصدر السحر والكهانة واحد وهو الكذب، في حين أنّ معتمد القران هو صدق الحديث والوعد وهداية الناس. ولو يعلمون أنّ القرآن كتاب اعتمد الكذب والافتراء لكفاهم ذلك مؤنة الاشتغال بمحاربته والتصدي له، واكتفوا أن يدلّوا العقلاء من الناس إلى مواطن الكذب والخلل فيه.

وإن تمسكوا بقولهم هو شعر أتى به شاعر، يملك فنّاً رفيعاً وذا إبداع يثير الإحساس ويملك القلوب، كان ذلك أدعى لدحض حجتهم وتفنيد زعمهم، إذ كيف عجزت ألسنتهم عن ردّه، ولو كان شعراً لما يئسوا من الرد عليه بالشعر، وهم أهل الشعر وأمراؤه؛ ولكنهم أدرى بصنعة الشعر وفنّه، ويعلمون أن القرآن ليس من جنس الشعر ولا يقول به من له أدنى تمييز ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٩]. **ثم إنّ أغلب الشعر هو مبالغات وصنع واختلاق للكلام الذي لا حقيقة له، والقرآن بعيد بحقيقته كلّ البعد عن نزق الشعراء وتخيلاتهم ويتنزه عن ذلك** ﴿وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾[١٠]. **ثم إنّ القرآن يقدح بالشعر والشعراء إلا القليل منه ومنهم، كما بينت الآيتان السابقتان، فكيف يكون شعراً أو يتضمن شعراً، ولو أصرّوا على ذلك لبان جهلهم في أصل ما ادّعوه من أنهم أرباب اللغة وسادة البلاغة والكلام.**

طاف بهم المطاف فحطّت بهم الرحال على كلمة ظنّوا أنّها هي منجيتهم مما هم فيه من الحرج وتدهور الرأي، وحسبوا أنها تعطي مفعولها السلبي في مواجهة القرآن، فقالوا كلمتهم الكفرية (بَلِ افْتَراهُ**)، أي أنّ محمداً يخلق ما يقول من ذاته فيصنع الفكرة وينسبها إلى الله ليضفي عليها قداسة، فتصدقها الناس وبذلك يملكهم ويتسلط عليهم. وهم يحسبون أنّهم جاءوا بثالثة الأثافي التي سوف يستقرّ عليها قدرهم، لينبري لهم القرآن بجملة من الإخبارات الغيبية والمستقبلية التي لا يمكن لأي بشر التنبؤ بها، من قبيل** ﴿ألم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[١١]، ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[١٢]، ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها﴾[١٣]، **وما جاء به من حقائق ومخبرات مستقبلية هي أدلّ على إنه من عند الله وليس قول البشر،** ﴿ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١٤].

خلاصة القول إنّ القوم إنّما نكصوا عند مقارعتهم للقرآن، ولم يستطيعوا مواجهته والوقوف أمامه، لأنهم هزموا في أنفسهم إذ تيقنوا أنه معجز بكل مقاييس الإعجاز، فهو أكثر تأثيراً في السامعين لعلوّ طبقات بلاغته وروحانيته القوية النافذة، وهو أعلى من أساليب ومفاهيم العرب، رغم أنه نزل بلغتهم واستخدم أساليبهم في الكلام، وإنهم تورّطوا في مغبة التصدي له، وكان الأجدى بهم والأحفظ لماء وجوههم لو أنّهم كفّوا من حيث أيقنوا بإعجازه، ولكنهم التمسوا لأنفسهم طرقاً ومسالك ملتوية في مواجهته، باختلاق التهم لخداع العوام من الناس. ولعل ذلك يكون مبرراً لعجزهم ويدفع عن وجوههم معرّة الفشل في مقارعته بالحجج والبراهين العقلية والمنطقية. لكن هيهات! أنّى للواهمة أن تخدع العقل والناس قد أدركت بفطرتها وسليقتها اللغوية جمال تعبير القرآن وبلاغته وجزالته، وقوة إفحامه وإلزامه ظاهر في آياته ومنعة حججه وبراهينه.

٦- سورة الأنعام، الآية ٢٥.
٧- سورة النحل، الآية ١٠٣.
٨- سورة فصلت، الآية ٢٦.
٩- سورة يس، الآية ٦٩.
١٠- سورة الشعراء، الآية ٢٢٤ – ٢٢٥ – ٢٢٦.
١١- سورة الروم، الآية ١- ٤.
١٢- سورة الفتح، الآية ٢٧.
١٣- سورة الفتح، الآية ٢٠.
١٤- سورة يوسف، الآية ١١١.

لطائف قرآنية

الحَصَب والحَطَب

على الرغم من اختلاف التعبير في الآيتين الكريمتين في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [1]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [2]، وما بينته من وصف لحالة الإلقاء في نار جهنم بهدف الإحراق؛ إلا أن النتيجة واحدة وهي الاحتراق.

١- سورة الأنبياء، الآية ٩٨.
٢- سورة الجن، الآية ١٥.

أما الفرق اللطيف في التعبيرين فهو:

* أن الحَصَبْ هي جمع حصبة وهي الحجارة والحصى الصغيرة التي تُقذف باليد أو بالآلات اليدوية، وقد أكد القرآن الكريم أن مصير العابدين للأصنام كمصير الأصنام، فكلها تُقذف في نار جهنم لتحترق.

* أما الحطب، وهو الوصف الذي أطلقه القرآن الكريم على القاسطين الذين هم الجائرون عن الحق والمنحرفون عنه، ومصير هؤلاء أيضاً هو الاحتراق في نار جهنم. وهنا يتبين الفرق في التعبير، فمرة قال الله تعالى إنّ القاسطين

وقفة بلاغية

من عجائب كتابة القرءان الكريم

وردت في القرآن الكريم كتابة لفظتي كلمة (رءا - رأى) برسمين مختلفين لتحقيق المعنى المطلوب في المصحف الشريف نجد كلمة (رءا) قد وردت إحدى عشرة مرة، وآخرها ألف. ووردت كلمة (رأى) مرتين فقط، وآخرها حرف الياء ..

وحين نتدبر المرات التي وردت فيها كلمة (رءا) بحرف الألف، نجد أنها كلها رؤية بصرية: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً﴾ [1]- ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ [2].

ونظراً لأن الرؤية بصرية، جاءت نهاية كلمة (رءا) بالألف؛ لتدل على وجود حاجز للرؤية، أو حدود لها. فلا نرى الا لمسافات معينة غير أنه حين يتكلم القرآن عن رؤية البصيرة النافذة أو رؤية الفؤاد، تأتي كلمة (رأى) تنتهي بحرف الياء الذي يوحي بالامتداد. وقد جاءت بهذا الشكل في موضعين اثنين فقط من القرآن الكريم، خاصتين بالرسول ﷺ، حينما بلغ السموات العلى وسدرة المنتهى، حيث كانت الرؤية الحقة وهي رؤية الفؤاد بدون حدود و رؤية البصيرة و رأى من آيات ربه الكبرى وذلك في سورة النجم .. قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [3]- ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [4].

هذا من عجائب الكتابة الفريدة للكلمة القرآنية التي حروفها ترسم صورة صادقة ورائعة للمعنى.

١ - سورة الأنعام، الآية ٧٦.
٢- سورة يوسف، الآية ٢٨.
٣- سورة النجم، الآية ١١.
٤- سورة النجم، الآية ١٨.

هل تعلم

أن هناك خمس عشرة سورة تبدأ بصيغة القسم وهي: الذاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والعاديات، والعصر، والصافات.

هم حطب جهنم أي إنهم يحترقون كما يحترق الحطب، ومرة عبَّر بأن الذين يعبدون الأوثان هم وقود جهنم أي المادة المشتعلة والتي هي أعمّ من الحطب كما هو واضح، الأمر الذي يؤكده القرآن الكريم في موضع آخر حيث يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣).

وقد يُتصور فرق لطيف آخر بين الحطب والحصب، وهو أن الله عَزَّ وجَلَّ أراد احتقار الأوثان التي تعبد من دون الله وتشبيهها بالحصى الصغيرة التي لا قيمة لها ولا هيبة، فترمى في نار جهنم مع من كانوا يعبدونها.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٤.

إضاءات قرآنية

مَن يُزكّي النفس؟

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(١)

يقف المتأمل في هذه الآية المباركة أمام إضاءات نورانية يمكنه من خلالها معرفة جملة من الحقائق التي تبصره في أمور دينه ودنياه، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ إضراب عن تزكيتهم لأنفسهم، وردّ لهم فيما زكوه، وبيان أن ذلك من شؤون الربوبية يختص به تعالى فإنّ الإنسان وإن أمكن أن يتصف بفضائل، ويتلبس بأنواع الشرف والسؤدد المعنوي غير أن اعتناءه بذلك واعتماده عليه لا يكون إلا بإعطائه لنفسه استغناء واستقلالاً وهو في معنى دعوى الألوهية والشركة مع رب العالمين.

٢- وأين الإنسان الفقير الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة، والاستغناء عن الله سبحانه في خير أو فضيلة؟

٣- والإنسان في نفسه وفي جميع شؤون نفسه، والخير الذي يزعم أنه يملكه، وجميع أسباب ذلك الخير، مملوك لله (سبحانه وتعالى) محضاً من غير استثناء، فماذا يبقى للإنسان؟

٤- وهذا الغرور والإعجاب الذي يبعث الإنسان إلى تزكية نفسه هو (العُجب) الذي هو من أمهات الرذائل، ثم لا يلبث هذا الإنسان المغرور المعتمد على نفسه دون أن يمسّ غيره فيتولد من رذيلته هذه رذيلة أخرى، وهي رذيلة التكبر و يكون تكبره في صورة الاستعلاء على غيره من عباد الله فيستعبد به عباد الله سبحانه، و يجري به كل ظلم وبغي بغير حق، وهتك محارم الله، وبسط السلطة على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم.

٥- وهذا كله إذا كان الوصف وصفاً فردياً، و أما إذا تعدى الفرد و صار خُلقاً اجتماعياً وسيرة قومية فهو الخطر الذي فيه هلاك النوع وفساد الأرض، وهو الذي يحكيه الله (سبحانه وتعالى) عن اليهود إذ قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (٢).

المصدر: تفسير الميزان (بتصرف)

١- سورة النساء، الآية ٤٩.
٢- سورة آل عمران، الآية ٧٥.

فانتهزوا فرص الخير

ضرغام محمد علي

الكلّ يعرف بأن الموت حقّ وأنهُ سبحانه جامعٌ البشر في يوم لا يُقبل فيه شفاعة إلا لمن إذن له وارتضى منه الشفاعة ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[1]، **ولا منجاة منه إلا بالتوبة والإنابة إليه قبل أن تنزل بساحته المنية ويكون قد فات الأوان؛ إنها حقيقة قطعية غير قابلة للإنكار.**

هنالك موارد عِدّة وردت في القرآن الكريم تبحث حالة الإنسان عند احتضاره وهو يتقلب في سكرات الموت يتذوقه غصة غصة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2]. **ومن جهة أخرى، تستعرض لنا بعض آيات القرآن الكريم كيف يُعرَض الإنسان في عرصات القيامة للحساب وكيف يجادل عن نفسه ويدفع عنها وهو بين يدي الله** ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، **فاحرص ألا تكونّ ممن يقف بين يدي ربه ناكساً رأسه لا يعلم مصيره إلى أين!** ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[3]

إنَّ الحوار الذي يجري بين الإنسان وبين بارئه عزّ وجلّ ما بعد الموت، حينما يُعرَض للمحاسبة وبعد رؤيته لصحيفة أعماله التي تحوي صالح الأعمال وطالحها، يتفاجأ ويُصدم فيقول متعجباً لهذه الصحيفة ألا تغادر شيئاً صغيراً كان أم كبيراً ﴿ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها﴾[4]، **وكفى بالإنسان شدة وحرجاً وحياءً أن تُعرض أعماله القبيحة على جبار السماوات والأرض.**

إنّ ذلك اليوم حساب بلا عمل، فقد أغفل الإنسان عمراً كاملاً في العمل الدنيوي دون أن يغتنم الفرصة في إمكانية العمل الصالح لآخرته. وإذا أراد الإنسان النجاة من أهوال يوم القيامة عليه أن يخلص العمل في طلب مرضاة الله ويجتهد بالعبادات المفروضة عليه والمندوبة وأن يؤدي حق الله وحق العباد ولا يسوف ويفني عمره في الملاهي والملذات لأن أول شيء يحاسب عليه يوم القيامة هو عمره فيما أفناه لكيلا يكون عمره وبالاً عليه في الآخرة ويكون مصيره جهنّم خالداً فيها، وكما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[5]، **فيأتي جواب ذلك:** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾[6].

وعن النبي الأكرم محمد ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت»[7]. **من هنا يتضح أنه يجب على كلّ عاقل حريص على نفسه أن يجعل كلّ أيامهِ وعمرهِ التي منحها الله عز وجل له في الدنيا بستاناً يعمِّره في الخير والصلاح ليحصد بعد ذلك الفلاح والنجاح في الآخرة لأنّ الدنيا مزرعة الآخرة.**

فما العُمر إلّا ساعات معدودات مقسّمةٌ على الأيام تمضي بنا إلى الأمام دون رجعةٍ وما فاتنا لا يمكن أن نستعيده. يقول رسول الله ﷺ: «كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك»[8]. **نعم؛ علينا أن لا نجعل للفراغ وضياع الوقت مسوّغاً لهدر أعمارنا، ولا نجعل له سبيل ليتخلخل بين ما نُريد عمله للآخرة؛ كي لا نقول بعد فوات الآوان «فيا ليت الشباب يعود يوماً» فينبغي أن نستثمر أيام الصحة والشباب في الطاعة وفعل الخير، ولكي لا نخسر ثواب الطاعة والعبادة ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.**

وختاماً يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ»[9].

١- سورة سبأ، الآية ٢٣.
٢- سورة آل عمران، الآية ١٨٥.
٣- سورة السجدة، الآية ١٢.
٤- سورة الكهف، الآية٤٩.
٥- سورة فاطر، آية ٣٧
٦- سورة فاطر، آية ٣٧
٧- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، (٦٨/ ١٨٠).
٨- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، (٧٤/٧٦).
٩- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، (٣/٢٣٩٨).

تحت شعار:

بالكاظمين
نستعصم ومن الرضا نستلهم

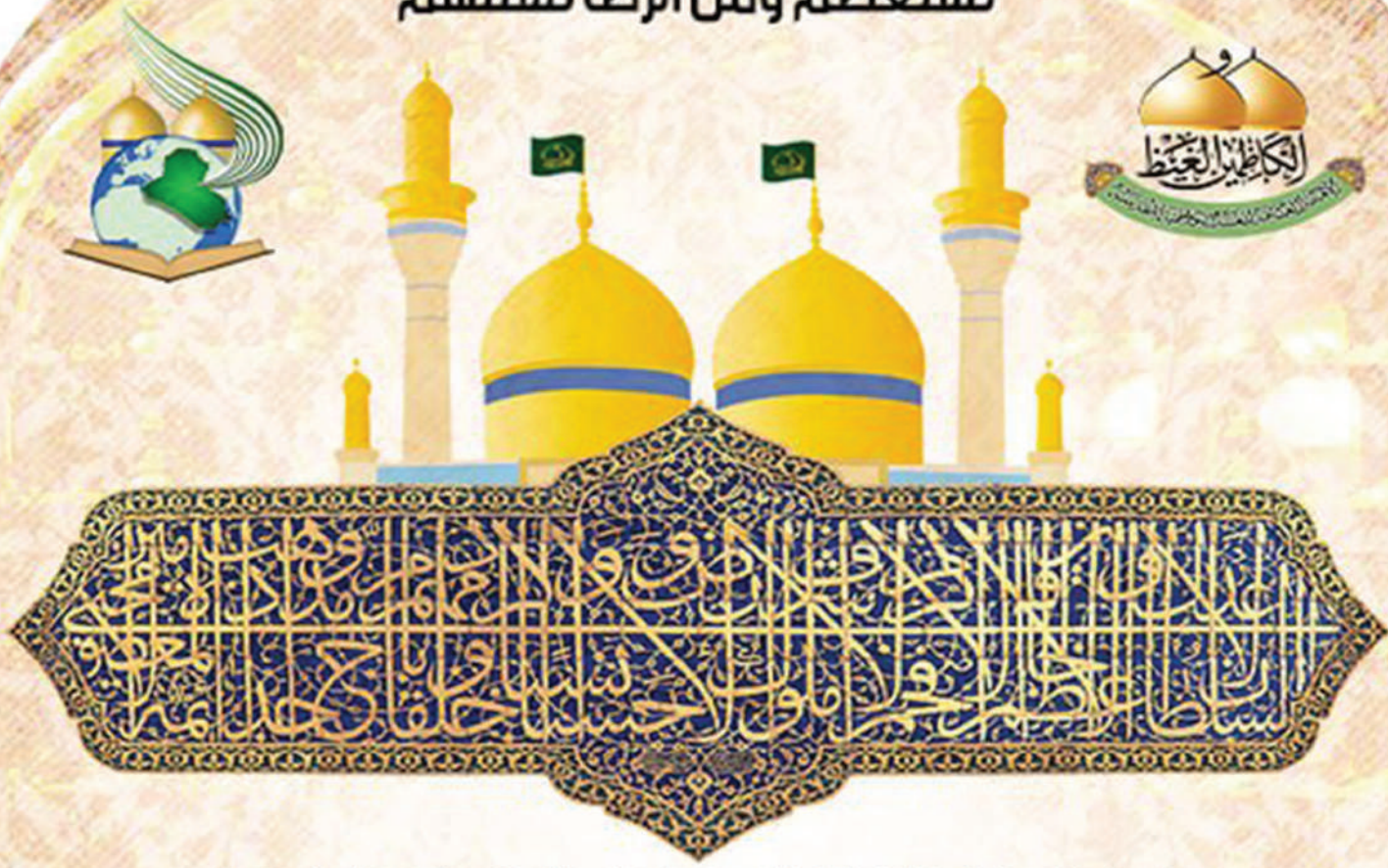

تقيم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

المهرجان السنوي الدولي التاسع للشعر العربي

بعنوان..

(قصائد عسجدية في ثامن خير البرية)

٤ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ/ ٢٠/١٠/٢٠٢٣م

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

تحت شعار:

بالكاظمين

نستعصم ومن الرضا نستلهم

تقيم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثاني عشر

بعنوان: ((الإمام الرضا عليه السلام

منهج نبوة.. وعمق إمامة.. وشمس هداية))

The 12th Annual International Scientific Conference

٢٧-٢٨ ربيع الأول ١٤٤٥هـ

١٣-٢٠٢٣/١٠/١٤م